الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
دار اللغة والادب العربي

رقم الايداع في دار الوثائق العراقية
٢١٠٧ لسنة ٢٠١٥

للتواصل
Website: www.alh.imamhussain.org
E-mail: siaraa@imamhussain.org
+٩٦٤٧٧٢١٤٥٨٠٠١ - +٩٦٤٧٨٢٧٢٣٦٨٦٤

اسم الاصدار : مجلة سيراء

جهة الاصدار: دار اللغة والادب العربي

سنة الطبع: ٢٠٢١م

الطبعة : الاولى

مكان النشر: العراق – كربلاء

المطبعة: مطبعة دار الوارث للطباعة والنشر

العدد: الثالث

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة

المشرف العام

سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيـــس التحريـــــر

د. لطيف القصاب

سكرتير التحـــرير

حيــدر العــامري

هيـأة التحـريـر

أ.د. صادق حسـين كنيـج

أ.م.د. خـالـد عباس حسين السياب

أ.م.د. طــلال خليـفة سلمـان

أ.م.د. نجم عبد الله غالي الموسوي

أ.م.د. مـؤيد عمـران جيـاد

م.د. حيـدر عبــد علـــي حميـدي

المراجعة اللغوية

عباس الصباغ

التصميم والاخراج

حيدر الفتلي

المحتويات

المعجمُ العربيُّ نشأته وتطوره عرض وتحليل..... ٦

د. خالد محمد عبد الغني – مصر

أستاذي الدكتورُ حسين نصار العطاءُ والعلمُ والإنسانية..... ١٢

د. يسرى عبد الغني – مصر

عالمٌ من طراز فريد.. د. حسين نصار..... ١٦

محمود قنديل – مصر

منهجُ الدكتور حسين نصّار في كتابه فواتح سور القرآن قراءة نقدية..... ٢٠

د. حاكم حبيب الكريطي – العراق

عبقريٌّ من أسيوط..... ٢٥

أ.د. رحيم جبر الحسناوي – العراق

الدكتورُ حسين نصار قبضةُ سنابل... واضمامة أزاهير..... ٢٨

أ.د. طارق الجنابي – العراق

معجم((مقاييس اللغة)) لابن فارس((٣٩٥هـ)) في نظر الدكتور حسين نصار.... ٣١

أ.م. د. خالد عباس السّياب – العراق

رموزٌ لن ينساها التاريخ عالمنا الكبير حسين نصار..... ٣٧

إيمان عنان – مصر

حصادُ التسعين العلّامة الدكتور حسين نصّار سنوات ومحطات حافلة بالعطاء

والإنجازات..... ٤٢

م.م. يونس إبراهيم أحمد العزي – العراق

الافتاحية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله النجباء

وبعد...

كدأبها الحميم في الاحتفاء بأساطين اللغة والأدب العربي من الذين انتقلوا إلى رحمة الله ورضوانه، فقد شاءت الاقدار ان تحتفي مجلة «سيراء» بعلَم من أعلام العربية وقامة من قاماتها الباسقة والمستطيلة في علوم القرآن والتاريخ والتراجم و الأدب واللغة والتحقيق والترجمة، إنه العلامة البروفيسور حسين محمد نصار أسيوطي المولد، صاحب البصمات الجلية والاستاذية الجليلة على مجلة (دواة) المحكّمة منذ أن اختطت طريقها الناجح في مضمار خدمة لغة الضاد، فقد كان رحمه الله عضوا فاعلا للهيأة الاستشارية فيها، والتي أسبغ عليها من فيوض علومه منذ عددها التجريبي ما جعلها تقف في صدارة المجلات المحكّمة التي تعنى بهذا المجال وله الأستاذية الأبوية في ذلك.

الكتابة عن العلاّمة حسين نصّار هي أكثر صعوبة وأشدّ رهبة، بل تكاد تكون مَهمة مستحيلة، كيف لا، وهو العالِم الموسوعي الذي تبحّر في مختلف العلوم والفنون، وأجاد في شتى صنوف الثقافة والمعرفة، مؤلّفاً، ومؤرخاً، وأديباً، ومعجمياً، ومحقّقاً، ومترجماً... فكان بحق: شيخ المحققين، وأستاذ المعجميين، وقدوة المترجمين، وعمدة الأدباء واللغويين.

فلامجال للاقتضاب في تناول هذه الشخصية الموسوعية، ولكن نشير اليه بالقول إن العلامة نصار (١٩٢٥-٢٠١٧) حصلَ خلال مسيرته العلمية الحافلة على العديد من الألقاب المهمة، منها شيخ المحققين العرب، والمترجمين، وشيخ المعجميين، ورئيس مجمع اللغة العربية، كما تولّى رئاسة اللجنة العلمية لمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، وتقلّد العديد من المواقع العلمية منها: رئاسة الجمعية الأدبية المصرية، إلى جانب عضويته في عشرات اللجان الأدبية والعلمية في مصر والعالم العربي وترك لنا آثارًا متنوعة تنمّ على ثقافةٍ موسوعيةٍ، فلم يقتصر عطاؤه العلمي على العربية وعلومها واتصف إنتاجه بالتعدّد والتنوع بين (٤٤) كتاباً مؤلفاً، و(٢٤) كتاباً محققاً، و(٩) كتب مترجمة، وما يقرب من (٣٠٠) بحث ومقال.

ونعدو الانصاف والصواب إن زعمنا إننا وفي هذه العجالة سنفي حق أستاذنا نصار الذي امتدّ عمره إلى مايربو على (٩٢) عاما كانت حافلة بالعطاء الدؤوب وخدمة القرآن الكريم ولغة الضاد فكان بحق امتدادا للسيوطي (ت ٩١١ هـ) في موسوعيته وشموليته العلمية.

تغمّد الله استاذنا العلامة البروفيسور حسين نصار بوافر رحمته وجزاه عن لغة التنزيل المجيد خير الجزاء.

هيأة التحرير

المعجمُ العربيُّ نشأته وتطوره
عرض وتحليل

د.خالد محمد عبدالغني / مصر

حصلَ العلامةُ الدكتور حسين نصار (٢٥ أكتوبر١٩٢٥- ٢٩نوفمبر ٢٠١٧) خلال مسيرته العلمية الحافلة على العديد من الألقاب منها شيخ المحققين العرب، والمترجمين، وشيخ المعجميين، ورئيس مجمع اللغة العربية، كما تولى رئاسة اللجنة العلمية لمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، وهو قد حصل على ليسانس الآداب من قسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٤٧، وحصل على الماجستير ١٩٤٩عن نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، وتقلّد العديد من المواقع العلمية منها: رئاسة الجمعية الأدبية المصرية، إلى جانب عضويته في عشرات اللجان الأدبية والعلمية في مصر والعالم العربي. كما عمل بالإذاعة المصرية (١٩٤٨-١٩٥٠) مذيعاً في برامج مختلفة، والتحق بقسم المعلومات بمؤسسة أخبار اليوم ١٩٦١، ثم مديراً لمعهد المخطوطات العربية، من ١٩٧٥ إلى ١٩٧٦، وتولى رئاسة أكاديمية الفنون المصرية، في ١٩٨٠ إلى ١٩٨٢.

واتصف انتاجه بالتعدّد والتنوّع بين ٤٤ كتاباً مؤلفاً، و٢٤ كتاباً محققاً، و٩ كتب مترجمة، وما يقرب من ٣٠٠ بحث ومقال، وأنجز خلال تلك المسيرة الكثير من التحقيقات للكتب والحصول على النسخ المخطوطة واللازمة لعملية التحقيق، ففي مجال النثر حقّق عدداً من النصوص التاريخية الأدبية والرحلات منها: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة لعلي بن موسى بن سعيد المغربي، وولاة مصر لمحمد بن يوسف الكندي، رحلة ابن جبير- واهتمّ بترجمة مؤلفات لكبار المستشرقين من أجل فتح آفاق جديدة للبحث في مواطن الدراسة العربية ترجمته لـ المغازي الأولى يوسف هوروفتس، ومصادر الموسيقى العربية لهنري جورج فارمر، ودراسات عن المؤرخين العرب د. س. موجرليوث، وديوان عبيد بن الأبرص، وأرض السحرة برنارد لويس، وابن الرومي: حياته وشعره لـ روفون جت. وفي هذا كله لا يكتفي بمجرد الترجمة، وإنما يعلّق على ما يترجم مضيفاً أو مصحّحاً بالهامش من دون تدخّل في النص نفسه. وتميزّت أعماله بالتأصيل العلمي والتوثيق المرجعي المحرر لكل ما يُكتب، فكان يبحث في شكل عميق في المصادر الأصلية لموضوع دراسته، ما جعله واحداً من كبار المحققين لعيون التراث العربي، وكان اهتمامه بمباحث الإعجاز البياني للقرآن الكريم تعبيراً عن اهتمامه المتواصل بفقه الكلمة العربية وتاريخها ومبانيها اللغوية والتركيبية. ومن مباحثه المتخصّصة في الإعجاز كتابه الفواصل الذي نشر عام ١٩٩٩. كما حاز العديد من الجوائز منها: جائزة الدولة التقديرية في الآداب ١٩٦٨، جائزة الملك فيصل العالمية في الآداب ٢٠٠٤، جائزة مبارك في الآداب ٢٠٠٦.

ويكاد يكون مذهبه الفكري ورأيه في التراث العربي هو ما عبّر عنه بقوله:((ان الادعاء بأن التراث العلمي العربي الذي نؤمن جميعاً بأن التطور تجاوزه، ووجود

الكثيرين ممّن يؤيدون نبذه وراء ظهورنا، إنّما هو دعوة فيها حقّ كثير ولكنها لا تخلو من الباطل.

فنحن نصفُ العصور بعد سقوط بغداد في ٦٥٦هـ بالتخلّف وهي التي منحتنا ابن خلدون والمقريزي والسيوطي والقلقشندي والعمري وغيرهم. فما الذي خلّص هؤلاء من عوامل التأخر في عصورهم؟ إن ذلك يحتاج إلى التاريخ، والتاريخ يحتاج إلى وثائق يقيم عليها الدرس، ويدعم بها ما يصل إليه من نتائج، والوثائق نماذج من التراث. ولكن التراث ليس ضرورياً للتاريخ وحده بل هو ضروري لمنافع أخر. إن الماضي له جماله الخاص عند البشر، وللتراث فتنته عند المبدعين والمتلقين، ولكن للتراث خطره فالذي يضعف أمامه ويتعبّد له، يتجمّد فكره وتجفّ مواهبه ويذوي إبداعه سواء كان إنساناً فرداً أو مجتمعاً كاملاً، وسواء أكان مفكراً أم فناناً. فالواجب إذن أن نحيط بالتراث لا لنكون أنداداً له، بل لنتفوق عليه إن كنا من أصحاب أدوات التفوق.

ويعدّ كتابه «المعجم العربي نشأته وتطوره» - الذي صدر للمرة الأولى عام ١٩٥٦ وكان في الأصل رسالته لنيل درجة الدكتوراه عام ١٩٥٣ من كلية الآداب جامعة القاهرة ـ أشمل دراسة للمعاجم العربية، ويتكوّن الكتاب من جزءين ويقع في ٦٨٢ صفحة.

ويقول المؤلف حول منهجه في الكتاب:»رأيت أن أختطّ في البحث منهجا يقوم على دراسة المدارس. فقسّمت المعجمات العربية الكبيرة إلى مدارس بحسب منهج كل منها في تقسيماته وأبوابه، وحاولت الربط بين هذه المدارس باستخراج آثار الأولى منها في الأخيرة. وتتبعت كل مدرسة تتبّعا تاريخيا، فعالجت المعجم الأول منها في الظهور، فالثاني، فالثالث.. إلى الأخير منها ظهورا، لأستطيع أن أستجلي معالم تطوّرها والرابطة المشتركة بينها جميعا والخصائص التي تطورت بالإمحاء أو بالبروز، أو الضآلة أو التلوّن بلون جديد بل حاولت كذلك أن أتبيّن الآثار التي تلقفها أحد أفراد مدرسة متقدمة من آخر في مدرسة متأخرة، إن كان تأخر عنه في الزمن وتأثر به، لأن هذه المدارس لم تختف كل منها بظهور تاليتها، بل عاشت معا زمنا طويلا، وعنيت في كل معجم أن أبيّن هدفه ومنهجه في الوصول إلى هذا الهدف ووصفه والظواهر التي غلبت عليه وتنمّ عن ميول مؤلفه وما أخذ عليه وما قام حوله من دراسات تكمّله أو تستدرك عليه أو تنقده أو تختصره أو تشرحه أو تعنى بناحية خاصة به.

ويستكمل المؤلف شرح منهجه فيقول: «ومن الطبيعي أنني لم أطبّق هذا المنهج الذي وضعته تطبيقا أعمى في كل معجم إذ أن منها معجمات لها طبيعتها الخاصة التي تحتاج إلى بحث خاص يلائمها وقد فعلت ذلك في معجم العين، والمقاييس.

وكان الهدف من هذا المنهج كما يقول :» اني حاولت أن اصل إلى ما أهدف إليه من تصوير نشأة المعجم العربي وتطوّره تصويرا واضحا شاملا.

وحول كلمة المعجم يؤكد :»أننا لا ندري على وجه اليقين متى أطلقت هذه الكلمة بهذا المعنى المتداول حاليا وهو «جمع اللغة» والأغلب أنها جاءت مع تسمية معجم الفيروز ابادي بالقاموس المحيط، ومعناه البحر المحيط أي الواسع الشامل فلّما كثر تداول هذا المعجم في أيدي المتأخرين وقصروا جهدهم عليه اكتفوا بتسميته بالقاموس، ثم اشتهر هذا الاستخدام حتى أصبح مرادفا لكلمة معجم لغوي، وأطلق على جميع المعاجم اللغوية الأخرى المتقدمة والمتأخرة.

وقد عرّف ابن خلدون اللغة بأنها ملكة في اللسان للعبارة عن المعاني وهي في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم. وعرّفها الشيرازي في القاموس المحيط بأنها «أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم». وهي نظام من الكلمات أو

الرموز والقواعد تدمج سوياً كطريقة للاتصال بين مجموعة من الأفراد. وتعرّف اللغة أيضا بأنها نظام من الرموز يتسم بالتحكّم والانتظام والتمسّك بالقواعد مع وجود قواعد لتجميع هذه الرموز. وتعدّ اللغة أكثر من كونها استخداما للكلمات، فهي مرآة تعكس شخصية المتكلم وبيئته الثقافية ويظهر هذا في الاختلافات التي يمكن أن تلاحظ على لغة العامة والمثقفين. كما تعرف اللغة بأنها نظام محدّد مرتّب من القواعد التي يفهمها ويدركها الأفراد في الكلام والاستماع والكتابة، واللغة هي صياغة المعلومات والمشاعر بشكل رموز منطوقة أو أصوات تكون على شكل مقاطع. وتعرّف أيضاً بأنها طريقة في التواصل مستندة إلى قاعدة، وتتضمّن الفهم واستعمال الإشارات والرموز لعرض الأفكار. وتعدّ اللغة عبارة عن مهارة ينمو وجودها لدى الفرد عن طريق المحاولة والخطأ ويتمّ تدعيمها عن طريق المكافأة.

ويحتوى هذا الكتاب على تعريف ومناقشة وعرض وتحليل لما كتب حول غرائب اللغة مثل غرائب القرآن والحديث ومعاجم الفقه وكتب الهمز والحيوان والحشرات والخيل وخلق الإنسان وكتب النوادر والبلدان والمواضع والأفراد والتثنية والمصادر والصيغ الخاصة للأفعال والأسماء والأبنية العامة وكتب الصفات.

ومن المعاجم فقد تناول كتاب العين والبارع والتهذيب والمحيط والمحكم وكتاب الجمهرة والمقاييس والمجمل وكتاب الصحاح والعباب ولسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس وكتاب المعيار وأساس البلاغة ومعاجم اليسوعيين ومشاريع وخطط المجمع اللغوي مثل المعجم الكبير والمعجم الوسيط، وعرض المؤلف وناقش عيوب المعاجم القديمة ووضع تصورا لخصائص المعاجم التي نحتاج إليها في حياتنا المعاصرة وما سمّاه بالمعجم العام الشامل لجميع ما تحتوي عليه العربية، فرأى أنه يجب أن يبدأ بجمع ما بقي عندنا من المعاجم القديمة والرسائل اللغوية، واستخلاص ما تتضمّنه من صيغ ومعان. يلي ذلك جمع ما بقي عندنا من التراث العربي كله دون استثناء، في كل علم وفن ومنحى. ثم تصنيف التراث - حسب ما يشتمل عليه من موضوعات- تصنيفا دقيقا وفقا لأنواع النشاط الفكري البشري. وتقسيم كل صنف منها تبعا للقطر الذي أصدره، مهما كان موقعه من العالم. ثم ترتيب هذه الأصناف ترتيبا تاريخيا من الأقدم إلى الأحدث.وتتم تغذية الحاسوب بهذا التراث لكي نتمكّن من معرفة الكلمة في استخداماتها كلها، مصنفة على الأقطار، ومرتبة على السنوات. فنتمكّن من تتبّع معانيها في هذه الاستعمالات إن تعدّدت، ومن تبيّن الاختلاف بينها إن تمايزت، واستنباط أسباب التباين فيمكننا أن نؤرّخ للكلمة. وحين نؤرّخ لكل كلمة من كلمات اللغة نكون أرّخنا للغتنا وللفكر العربي. وقد وضع تصوّره في أن تحتشد لهذا العمل الكبير جهود هيئات وأجيال وأقطار متضافرة، ترصد له المال، وتقسّم العمل المتكامل، وتهيئ له الوسائل المعينة عليه.

وقدّم مثالا لذلك بمعجم أكسفورد الكبير في اللغة الانجليزية الذي استغرق العمل فيه ما يزيد على سبعين عاما، واعتمد على الجهد البشري وحده، فكانت معاناتهم في إخراجه أعظم مّما علينا أن نعانيه لإنجاز معجم مثله في العربية. ومّما ذكره كأمثلة نعرض بعضا مّما كتبه ونبدأ بما ذكره حول كتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي فقد حاول فيه أن يلقي الضوء على أقدم نسخة منه ببغداد، وهي الموجودة بمكتبة حجة الإسلام السيد حسن الصدر، وبدأ بالتحقق من السند الذي وصل الكتاب عن طريقه. وقد كتب في مستهلّ النسخة أنه لم يتعدّ راويةً واحدا أخذ عن الليث مباشرة. وعند فحص الكتاب وجده يعتمد على عدة نسخ سابقة عليه، اختار الكاتب منها واحدة التزمها وجعلها النسخة الأم، وحين خرج عليها نبّه إلى ذلك. ونقل من هذه

النسخ أحيانا تصحيحا لبعض الألفاظ الواردة في تفسير المواد التي يعالجها. وتوصّل إلى أن الكاتب كانت بين يديه ست نسخ - على الأقل - يردّد نظره فيها وينقل عنها. وأكثر ما يشير منها إلى نسخة الحاتمي ومن فحصه للمتن قرّر أنه من المحال أن تكون هذه النسخة من كتاب العين قريبة العهد بالليث بن المظفر، وأن الراوية المذكور في مستهلها ليس آخر رواتها، وأكّد أن كاتبها كان يعيش في أواخر القرن الخامس أو ما بعده.

كما عرض صورة شاملة للمعاجم العربية القديمة موضحا خصائصها، وطرائق ترتيبها. فبدأ بمعجم العين موضّحا الأسس التي بني عليها، والنقائص والصعوبات التي واجهها. فذكر ترتيب مواده وفقا للمخارج الصوتية، ثم التزامه نظامي الأبنية والتقاليب. وتابع المعاجم التالية له موضحا مدى التزامها بالأسس التي سار عليها الخليل في معجمه، ومبينا المعاجم التي عدلت عن هذه الأسس، وسبب هذا العدول، ثم المنهج الذي سارت عليه حتى تخلّص من مصاعب ترتيب الألفاظ في المعجم. ثم عقد مقارنة بين المعاجم القديمة والحديثة في جانبين، الأول: ترتيب الصيغ والمعاني داخل المادة اللغوية الواحدة، والثاني: عدم الدقة - عند الخليل خاصة - في ضبط المواد والصيغ بالشكل ممّا جعلها عرضة للتحريف والخطأ.

وأشار إلى أن المعاجم الحديثة تفادت هذين الأمرين فالتزمت ترتيبا خاصا بكل صيغة يضعها في موضع محدد، كما التزمت موضعا واحدا لكل معنى، إلى جانب التزامها بالضبط التام. وانتقل إلى المعاجم الخاصة بالأدباء، فذكر أن لكل أديب نهجه الخاص في التعبير، سواء في معاني الكلمات التي يستخدمها أو في الطريقة التي تتراكب بها الألفاظ عنده. ولم يوضح ذلك سوى معجم خاص بهذا الأديب، يضم كل ما استعمله من ألفاظ مفردة ومركّبة. وأشار إلى معجم شكسبير في الانجليزية، ثم انتقل إلى رسم صورة للمعجم الاشتقاقي، الذي يقتسم الكلمات التي يعالجها إلى ثلاثة أنواع: العربي الأصيل، والمشترك بين العربية واللغات السامية الأخرى، والدخيل الذي أخذته العربية من غير الساميات.

وفي كتب الإبل ذكر أن العرب تنبّهوا إلى معالجة الإبل في النصف الثاني من القرن الثاني، ثم توالت الكتابة عن الإبل. ولم يصل إلينا من الكتب الخاصة بها غير كتاب الأصمعي، الذي كان ذا أثر كبير في بقية الكتب اللغوية التي تعرّضت لهذا الموضوع بعده، فقد صار هذا الكتاب القدوة التي يحتذى بها، في المادة وفي النواحي التي يجب تناولها وفي الترتيب.

وتناول التراث الجغرافي اللغوي عند العرب فاختصّ الذين عالجوا أسماء الأماكن معالجة لغوية أدبية، فأورد كتبهم وأشار إلى أنها جميعا كانت تهتم بالاسم أكثر من المسمى، باعتبار الاسم من المادة اللغوية التي تعالجها. واعتمدت على الشعر والأخبار العربية في استخلاص هذه الأماكن وتحديد مواقعها، كما يعتمد عليه اللغويون في تفسير الألفاظ. وأقامت تحديدها للمواقع على ذكر الأماكن المجاورة وأبعادها عنها بالمراحل والأيام والأميال. وكان أدقّهم ياقوت الذي اعتمد على معلوماته الجغرافية، حتى كان يحدّد المواضع بخطوط الطول والعرض.

وكانت الجزيرة العربية وما تاخمها من أقطار عربية هي موضع دراسة المؤلفين الأولين. ولم يشذّ عنهم غير الجاحظ الذي تناول بلادا غير عربية. وبقي الأمر كذلك حتى القرن السادس، فتناول المؤلفون المدن الإسلامية الأخرى، ثم توسّع العمراني وياقوت إلى بقية أنحاء العالم القديم. واختلفوا في ترتيب الكتب، إلى أن بلغ الترتيب كماله عند ياقوت الذي راعى حروف الكلمة كلها أصلية كانت أو مزيدة.

وأشار إلى معاجم المعاني حين درس كتب الفروق

اللغوية وهي الكتب التي تعالج الألفاظ التي تطلق على أعضاء تشترك فيها أنواع الحيوان، وتأخذ في كل نوع لفظا خاصا. فبدأ بكتاب قطرب، وذكر أنه تناول الفروق في ثلاثة أمور فحسب، هي أسماء الحيوان وأولاده، وجماعاته، وأصواته. وأفرد كل حيوان من شاء الوحش، وذوات البرثن، وذوات الجناح. وراعى في التعرّض لها ترتيبا معيّنا التزم به.وذكر أسماء العلماء الذين ألّفوا في الفروق موضحا أن كتبهم ضاعت كلها إلاّ واحدا. وانتقل إلى كتاب الأصمعي فعقد مقارنة بين الموضوعات التي تناولها الأصمعي وقطرب، وبيَّن أن الأصمعي اكتفى بوضع بعض الأمور المتقاربة متعاقبة، ولم يراع أي ترتيب.

وفي خاتمة الكتاب يقول الدكتور حسين نصار :((عشت مع هذه الرسالة سنين أعمل فيها دأبا وها هي الآن صارت خلقا سويا، وقد وضعت امام لغويي العرب الأهداف التي يرمى إليها مولفو الغرب من معاجمهم والمناهج التي اتخذوها في سبيل تحقيقها وعنيت بأحدث معاجمهم وأكثرها تطورا حتى يتبين الفرق بيننا وبينهم ونختار ما يلائمنا منها، كما تبيّن من البحث أيضا أن جميع أصحاب المعاجم العرب كانوا ينظرون إلى اللغة نظرة ناقدة فهم يرمون إلى جمع الصحيح الفصيح وغلب عليهم هذا الهدف في القرن الرابع خاصة حتى توّج بالصحاح». وبهذا فقد اهتمّ الدكتور حسين نصار مبكّرا جدا واتجه في شبابه الغضّ إلى دراسة ميدان لغوي بكر، هو مجال الدراسات المعجمية. وكانت رسالته للدكتوراه أول بحث من نوعه يتصدّى لتأريخ المعجم العربي في نشأته وتطوّره تأريخا شاملا مفصلا، على منهج علمي دقيق.تبيَّن من خلاله أن اللغة العربية من أغنى اللغات الإنسانية في ثروتها اللفظية، التي تستوعب الحاجات الحسية والمعنوية. كما تجلّى أن اللغة العربية من أقدم اللغات حرصا على تأليف

فواتح سور القرآن

الدكتور حسين نصار

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

أستاذي الدكتورُ حسين نصار العطاءُ والعلمُ والإنسانية

د. يسري عبد الغني

- باحث وخبير بالتراث الثقافي
- مؤسس ورئيس المنتدى الثقافي للأصالة والمعاصرة
- نائب رئيس مركز الدراسات القرآنية واللغوية.

بيروت / لبنان

في مجلسٍ ببيت العلامة محمود شاكر رحمه الله سنة ١٩٨٨م قال له تلميذه العلامة الدكتور محمود الطناحي رحمه الله: «في تاريخنا التراثي الذين اشتغلوا باللغة أمدَّ الله في أعمارهم، أبو علي الفارسي قطع التسعين، وابن الشجري قطع التسعين». وضحك وقال: "وأنا إن شاء الله سأقطع التسعين، وأنت إن شاء الله ستقطع التسعين".

لم يكن لصاحب هذه المقولة من نبوءته نصيب، فقد مات بعد أن قارب شيخه محمود شاكر التسعين بستة أشهر فقط، وكان عمره هو ٦٤ عاما، ولكن نبوءته صدقت على أحد شيوخه من حضور هذا المجلس أيضًا، وهو شيخه الدكتور حسين نصار الذي توفي يوم الأربعاء ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٧، بعد أن قطع التسعين كما تنبأ تلميذه.

ولد سنة ١٩٢٥ بمحافظة أسيوط، وتخرّج في قسم اللغة العربية بكلية الآداب سنة ١٩٤٧، ثم حصل على الماجستير سنة ١٩٤٩ عن رسالته «نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي»، وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٥٣ عن رسالته الرائدة " المعجم العربي نشأته وتطوره".

والدكتور حسين رحمه الله عالم ملأ الدنيا علما بمؤلفاته التي بلغت ٤٤ كتابًا، وتحقيقاته التي بلغت ٢٤ كتابًا، وترجماته التي بلغت ٩ كتب، وملأ الدنيا علمًا أستاذًا جامعيًا، ومذيعًا بالإذاعة المصرية، ورئيسًا لقسم اللغة العربية، ولقسم اللغة الفرنسية، ولقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب، وعميدًا لكلية الآداب وغيرها من المعاهد العلمية، ومديرًا لمعهد المخطوطات العربية وعضوًا بمختلف المجالس والاتحادات واللجان الثقافية في مصر.

ولست بصدد التعريف بالدكتور حسين نصار رحمه الله، فقد تكفّل بهذا كثيرون، أذكر منهم، الدكتور عادل سليمان جمال الذي أشرف على الكتاب التذكاري «ثمرات الامتنان دراسات أدبية ولغوية مهداة إلى الأستاذ الدكتور العلامة حسين نصار بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين»، والدكتور / حسام عبد الظاهر في كتابه «العطاء العلمي والثقافي للأستاذ الدكتور حسين نصار»، ونذكر هنا كتاب (الأستاذ) الذي أعدّه كل من الأستاذين / أحمد عمار وإيهاب الملاح، وصدر بعد وفاة عالمنا الجليل، كما أذاعت بعض القنوات التلفازية حلقات مسجلة في بيت الدكتور حسين نصار روى فيها سيرته الذاتية ببرنامج أوراق العمر.

ولكن أحبّ أن أبصّر ببعض ما أوقفني في سيرته العلمية الطويلة، وقبل ذلك أحب أن أقدّم قائمة ببليوغرافية

محقّقة مدقّقة بعدد إنجازات أستاذنا الدكتور/ حسين نصار العلمية في مجال التأليف والتحقيق والترجمة :

- مؤلفاته في إعجاز القرآن، ١٤ كتابا
- مؤلفاته في الأدب، ٩ كتب
- مؤلفاته في اللغة، ٥ كتب
- مؤلفاته في التاريخ، ٣ كتب
- مؤلفاته في التراجم، ٣ كتب
- تحقيقاته لكتب التراث، ٢٤ كتابًا
- ترجماته للغة العربية، ٩ كتب.

هذا بالإضافة إلى مقالات كثيرة في الصحف، وبحوث بمجلات علمية وكتب ذات تأليف مشترك ومقدمات للعديد من الكتب وتحقيقات، وإشرافه على ما يزيد على مائة رسالة جامعية في موضوعات مختلفة في آداب اللغة العربية

نهاية وبداية :

كان الإمام ابن عطاء الله السكندري يقول: «من لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة»، والمطلع على سير العلماء يجد أن بدايتهم في العلم كانت تبدأ من طفولتهم، يحفظون القرآن الكريم دون العاشرة، و يطالعون الكتب والمتون، ويلزمون أهل العلم، أو يكون لهم دليل من أقاربهم يدلّهم على طريق العلم.

لكن نشأة أستاذنا الدكتور / حسين نصار لم تكن نشأة محرقة، بل كانت نشأة تقليدية جدا، لم يكن فيها أي بشرى بنبوغ في الأدب أو اللغة، فقد نشأ في عائلة تشتغل بالتجارة، ولم تهتم بنشأته العلمية قبل التحاقه بالمدرسة، بل لم تهتمّ بإلحاقه بالكتاب، وهو لا يذكر أنه واظب على حضور الكتاب وهو صغير، بل إن محفوظه من القرآن الكريم حين سأله أحد المحاورين في برنامج تلفزيوني كان جزء عم فقط ليصلي به، فهو لم يحفظ القرآن حتى وفاته.

وفي المرحلة الثانوية التحق بالقسم العلمي، وكان من المقرر أن يلتحق بكلية الطب بالإسكندرية، ولكن حال دون ذلك سوء الأحوال في الإسكندرية بسبب الحرب العالمية الثانية.

كيف أصبح الأستاذ أستاذًا :

كان أستاذنا الدكتور /حسين نصار يكثر من الثناء على التعليم في عصره في كل مراحله الابتدائية والثانوية والجامعة.

ففي الابتدائية كان مدرس اللغة العربية الدرعمي (خريج دار العلوم) يأخذ منهم كل شهر جزءًا يسيرًا من مصروفهم الشخصي ليشتري لهم كتبًا يقرؤونها، ويطلب منهم أن يبكّروا في الحضور ساعة عن موعد الدراسة ليناقش موضوعات الإنشاء التي يكتبونها (مادة التعبير الآن)

وحين أراد الالتحاق بكلية الآداب قدّم للمسابقة المجانية، وكانت امتحانا في عدة كتب تقرّر على المتقدمين لهذه المسابقة، وكان د. زكي مبارك يتعرّض لهذه الكتب بالتحليل والنقد في مجلة البلاغ!

وفي الجامعة تتلمذ على كبار العلماء والأدباء مثل: شيخ الأمناء الشيخ/ أمين الخولي، والدكتور/ أحمد الشايب، و الأستاذ العلامة/ مصطفى السقا، والدكتور/ أحمد أمين وغيرهم من العلماء.

وأحبّ أن أذكر هنا أن الدكتور/ حسين نصار تتلمذ على يد أستاذه مصطفى السقا، وكتب عنه مقالاً إضافيًا بقلمه، وهذا المقال جزء من مقدمته لكتاب (المختار من الموشحات، من اختيار الأستاذ / السقا)، والذي حققّه أستاذنا، وصدر عن الهيأة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٨ بالقاهرة.

وكان يذهب وهو طالب إلى دار الكتب المصرية للمطالعة، وعندما تخرّج في كلية الآداب اختار هو القسم الذي يريد أن يعيّن فيه، واختار بنفسه المشرف على رسالتي الماجستير والدكتوراه.

يروي رحمه الله قصة عن صديقه الدكتور/ شكري عياد (رحمه الله)، يقارن فيها بين تعليمهم وتعليمنا، يروي أن الدكتور / عياد، عرض على حفيدته أن يساعدها في دروس اللغة العربية بدلا من أن تأخذ فيها درسًا خصوصيًّا، فلما بدأ الدرس قالت له: أنت تعلمني اللغة العربية، وأنا أريد أن أتعلم ما سيأتي في الامتحان لا اللغة العربية !!!.

وحين تخرّج في كلية الآداب اتخذ أستاذه العلّامة / مصطفى السقا (رحمه الله) شيخا له فلازمه ملازمة الابن لأبيه، وشاركه في كثير من أعماله، وكان الأستاذ/ السقا يذكر ذلك في مقدمات كتبه شاكرا لتلميذه مشاركته. وأفاده الأستاذ السقا في دراسته، وأشرف على رسالتي الماجستير والدكتوراه، وأعانه على نشر كتبه وعرّفه بعلاقاته على أصحاب دور النشر، وأوصى أبناءه أن مكتبته تؤول للدكتور/ حسين نصار بعد وفاته يأخذ منها ويدع ما يشاء، والجدير بالذكر أن شيخنا / مصطفى السقا تزوج في ١٩٢٥/٣/١، من ابنة خالته السيدة/ نعيمه مصطفى البابي الحلبي (الناشر والطابع التراثي المشهور)، على كل حال كان للأستاذ السقا أكبر الأثر في التكوين النفسي للدكتور حسين.

العطاء :

عندما كنا نتلقّى العلم في كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، حرصنا على اقتناء أفضل طبعات دواوين الشعراء الجاهليين، فوقع في أيدينا ديوان عبيد بن الأبرص صاحب المعلقة العاشرة «أقفر من أهله ملحوبُ»، كانت طبعة مصطفى الحلبي ١٩٥٧م، بتحقيق الأستاذ العلامة/ حسين نصار رحمه الله، وكان اسم الدكتور/ حسين نصار مقترنًا في أذهاننا بأسماء كبار المحققين، مثل: محمود شاكر وعبد السلام هارون ومحمد أبو الفضل إبراهيم وغيرهم من أعلام هذا المجال، وأعتقد أن هذا الديوان كان هو البداية الحقيقية لأن نطلع على أعمال أستاذنا، ونتابع كل كتاباته وندواته ومنتدياته ومحاضراته.

كان لي الشرف أن ألتقي بأستاذي الدكتور/ حسين نصار بدار الكتب المصرية حيث ترأّس العديد من اللجان التي قامت بتحقيق العديد من روائع كتب التراث بدار الكتب وبالتحديد في مركز تحقيق التراث حيث كنت أعمل بدار الكتب، كنت بمجرد أن أراه أسارع لأن أجلس في حضرته، لأنهل من علمه ومعارفه القيّمة المتجدّدة المتعدّدة، حتى لو لم أكن عضوًا أو مشاركًا في هذه اللجان، فقد كان الاستماع إلى هذا العلم الفذّ متعة ما بعدها وإفادة ما بعدها إفادة لكل محبّ وعاشق حقيقي للعلم والأدب، فمنه تعلمنا أصول وقواعد وأسس وطرائق التحقيق التراثي، والتدقيق والتمحيص للأدب وفنونه وتاريخه.

وكنت أحرص على لقائه في كلية الآداب/ جامعة القاهرة عندما أذهب هناك مكلّفًا بمهمة علمية، أو مشاركًا في أحد المؤتمرات، أو إحدى الندوات، أو مطلعًا على كنوز الكتب بمكتبة الكلية.

كما أنني شرّفت بأن أحضر له أكثر من ندوة في أكثر من محفل أدبي، وأذكر أنني شرّفت بحضور ندوة أقامتها كلية دار العلوم، كليتي التي تعلّمت فيها، وكان ذلك في أبريل ٢٠١٠م، بمناسبة مئوية الشاعر/ محمود حسن إسماعيل كان الدكتور/ حسين من المحاضرين فيها، حيث أمتعنا كعادته وأفادنا بعلمه الغزير، أضف إلى ذلك تواضعه الجمّ ورقيّ خلقه، ونبل مشاعره، وسموّ تعامله، وإنسانية تعامله.

وفي سيرة أستاذنا العلامة الجليل/ حسين نصار (رحمه الله) ما يدعو إلى التأمّل، وقد نشرت دار الكتب المصرية سيرته الذاتية التي عنوانها (التحدث بنعمة الله)، التي كتبها بنفسه، وهي بالفعل حافلة بالجديد عن تاريخ عصره، وعن حياته العلمية، رحم الله أستاذنا الدكتور/ حسين نصار وأسكنه فسيح جناته.

إعجاز القرآن

الفواصل

تأليف

دكتور حسين نصار

العميد السابق لكلية الآداب

جامعة القاهرة

الطبعة الأولى - ١٩٩٩

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

عالمٌ من طراز فريد . .
د . حسين نصار

محمود قنديل / مصر

بينَ وميضِ الميلاد ولحظات الموت عشتَ يا سيدى اثنين وتسعين عامًا، فَفَرِحتْ - بخطاك - بقاع الأرض، وسعدت برؤيتك رحابة السماء، تتجوّل بين آثار "أسيوط "، ذلك الإقليم الذي يعود اسمه (سوت) إلى عصر الفراعنة، تشدّك لوحات مدنية "اخناتون"، وتتفقد "دير المحرق"، وتشاهد المساجد والكنائس القديمة، ويدعوك "نهر النيل" إلى السير بمحاذاته في إشراقة الصباح، وهدأة الليل.

كم كنت تفخر أستاذنا بأسيوط كمحافظة أنجبت عظماء مثلك (جلال الدين السيوطي - محمد حسنين مخلوف- مصطفى لطفي المنفلوطي - مجدي يعقوب) وغيرهم.

وتمضي سنوات عمرك التعليمي عاكفًا على ما تيسّر لك من كتب في كافة العلوم وشتّى المعارف، وحين التحقت بالجامعة (كلية الآداب) تتلمذتَ على أيدى علماء أكفاء طالما اشدتَ بهم (أمين الخولي - أحمد الشايب - مصطفى السقا - أحمد أمين).

ولأن د.مصطفى السقا لمس نبوغك، وتنبّأ بمستقبلك، ورأى فيك طيبة قلب وصفاء نفس وعميق رؤى، فقد أوصى بأن تُهدى إليك مكتبته العامرة بأمهات الكتب بعد رحيله.

وتتخرّج في كلية الآداب (قسم اللغة العربية) جامعة القاهرة عام ١٩٤٧، لتعدّ نفسك لما هو أعلى فتتقدّم بموضوع " نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي " لنيل درجة الماجستير عام ١٩٤٩، ويظلّ اهتمامك منصبًّا على لغتنا العربية وآدابها، تلك اللغة التي طالما بهرتك بجرسها وبلاغتها وعذوبتها، لتتقدّم برسالتك الأخرى للحصول ـ هذه المرة ـ على الدكتوراه عام ١٩٥٣، والتي كانت تحمل عبق معجمنا وعبير تطوّره وعطر جذوره (المعجم العربي.. نشأته وتطوره).

لذلك لم يكن غريبًا أن تتبوّأ مناصب عديدة كرئيس لـ "الجمعية اللغوية المصرية" و "الجمعية الأدبية المصرية" و عضوًا بلجنة "الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة".

لقد كان لوجودك في كل هذه المناصب ثراء واسهامات لا يمكن لأحد أن ينكرها أو يقلّل من شأنها، وقد شهد لك ـ في ذلك ـ أساتذة أجلّاء، وتلاميذ أوفياء آمنوا بك فساروا على نهجك وطريقتك.

ولأنك تؤمن بضرورة الترجمة كإطلالة مهمّة على ثقافة الآخر ومحاولة فهمه، فقد قمت بترجمة أكثر من ثمانية كتب، نذكر منها: مصادر الموسيقى العربية لفارمر -ابن الرومي.. حياته وشعره لرفون جست- أرض السحرة لبرنارد لويس.

وأنك تعلم أن دراسة التاريخ تهدف إلى تناول الماضي لفهم الحاضر واستشراف المستقبل، فقد كتبت عن "الثورات الشعبية في مصر الإسلامية" و "نشأة التدوين

التاريخي عند العرب" و " صفحات في القضاء الإسلامي ".

وحقّقتَ يا سيدي أكثر من عشرين ديوانًا لأعلام تراثية أثرت حياتنا الثقافية، وكانت لها بصماتها المميزة عبر الدرس الأكاديمي في جامعاتنا العربية (عبيد بن الأبرص الأسدي -وقيس بن ذريح- وابن الصوفي -وجميل بثينة- وظافر الحداد).

وفي الأدب كانت لك صولاتك وجولاتك المشهودة فكانت مؤلفاتك (الشعر الشعبي العربي-القافية في العروض والأدب- في الشعر العربي - دراسات حول طه حسين).

وفي كل أطوار حياتك العلمية والثقافية كان يشغلك القرآن ككتاب سماوي خاتم ومعجز شهد له الكثير من غير المؤمنين به بإيجازه وإعجازه وقصصه وبلاغته، وما يحفل به من آيات كونية اعترفت بها العلوم الحديثة والحداثية، فكانت كتبكم العميقة (إعجاز القرآن، المتشابه، فواتح سور القرآن، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، الإبهام في القرآن والإعجاز العددي).

وفي الأدب ـ أيضًا ـ كانت لك اسهاماتك المشرقة، وبصماتك المتألّقة، وعبيرك المختلف وأنت تتناول شاعر الزهر والخمر (ابن وكيع التنيسي)، وتسلّط الأضواء على " ظافر الحداد" كأحد شعراء العصر الفاطمي فتحدّثت عن سيرته وعلاقته بنظام عصره بموضوعية شهد لها أساتذتك وتلاميذك ومريدوك ومحبوك، كما تكلمت عن قصائده بما فيها، وما لها، وما عليها فكنت يا سيدي طيب الأثر، عميق التناول، قوي الحجة.

ولا ننسى لك كتابك المهم عن "القافية في العروض والأدب" ففيه وضعت معايير جيدة للنقد الأدبي حين يتعرّض للقافية وإيقاعات الموسيقى في الشعر والنثر.

وأضفت إلى مكتبتنا العربية كتابين مهمين (في النثر العربي، في الشعر العربي).

فكنتَ - بذلك - جامعًا بين جماليات النثر وموسقة الشعر في لغتنا العربية الجميلة بروعة بيانها، وعظمة بلاغتها، ورقة إيقاعها.

سيدي الدكتور حسين نصار.. لن تنسى لك ثقافتنا العربية إثراءك لها بتعددية عطائك في اللغة والأدب والتحقيق والتراجم والترجمة.

ولن تنسى لك الذاكرة العربية والإسلامية ما قدمته من مؤلفات احتفت بالقرآن كلغة وإعجاز وبلاغة وتفسير.

وكم كان يشغلك - دومًا - الهمّ العام، مصريًا وعربيًا، فها هي كلماتك تعانق الآفاق منذرة ومحذرة: "لن يكون للعرب تاريخ ومستقبل دون التنسيق لمواجهة التفتت"، وكأنك يا سيدي تتنبّأ بما آلت إليه أوضاعنا الراهنة.

وتطلق الصيحة تلو الصيحة، فتقول:"لديّ إحساس بأننا ننحدر ثقافيًا، ويعود هذا إلى غياب الطموح".

وتميط اللثام عن آفة قديمة/ حديثة تسكن المصريين، فتقول: "المصريون أشطر شعوب العالم في إفساد حكامهم"، وكأنك -بذلك - تشجب وتدين الأسباب الحقيقية وراء تفشّي الديكتاتورية عبر قرون طويلة في حياة المصريين، بفعل التملّق الشعبي للحاكم ونفاقه ورفعه إلى مصاف الذين لا يخطؤون، وكأنه المُلْهَم أو النبي المعصوم.

وتمتدح فطرة هذا الشعب، فتقول:"مصر هي الدولة المدنية الوحيدة التي أدرك شعبها التوحيد وحساب الآخرة.

وها أنت يا سيدي تشخّص مواضع المرض علنا نجد أمصال العلاج، فتقول: أوضاعنا الحالية هي نتاج رؤية

المثقف، وقرار السياسي، وهيمنة رجال الدين.

ومن الجميل يا سيدي ألاّ ترى التراث معطّلا لنهضة ما أو انطلاقة، فالتراث كما قلتَ لم يمنع سعد زغلول من أن يطالب بالاستقلال أو يمنع عرابي من المطالبة بحقوق المصريين، ولم يمنع التراث أحدًا من أن يفكر ويعمل عقله، إذن التراث لا يمنع إلا الضعفاء.

وعندما يُوَجِّه إليك أحد الإعلاميين سؤالًا عن كيفية تعاملنا مع التراث، تباغته بجوابك الشافي، " المهم أن يكون الإنسان والمجتمع ابن يومه وليس ابن الأمس عند التعامل مع التراث، أي يتجه الفكر كله إلى اليوم الذي يعيشه المجتمع، وماذا تريد أن تكون غدا، وماذا يعطّل الغد ونبتعد عنه، وماذا ينطلق بنا إلى الغد ونتجه إليه.

وترى يا شيخنا في الحرية ملاذًا آمنًا لبناء الفكر والحفاظ على الهوية احترامًا للآخرين وحفظًا لحقوقهم، وتعلن على الملأ عن مدى تأثير الثقافة على الهوية، وتدين بشدة جمود من يطلقون على أنفسهم "السلفية " لأنك ترى في الإسلام مرونة ويسرًا.

لا تحزن يا سيدي حين حالَ البعض بينك وبين منحك عضوية مجمع اللغة العربية وأنت اللغوي الشامخ الذي لا يشقّ له غبار، فنحن في زمن المصالح والمنافع والتملّق والتسلّق على أعناق الآخرين.

ولا تجزع من عبث الصغار الملحقين كخفافيش في سماء ثقافتنا، فقد كرمتك الدولة بمنحك جائزتها التقديرية في الآداب عام ١٩٦٨، ونلت جائزة الملك فيصل العالمية في الآداب -أيضًا- سنة ٢٠٠٤.

ومنحك الرئيس الأسبق (مبارك) جائزته في الآداب عام ٢٠٠٦.

ويكفيك فخرًا يا سيدي أن ثقافتنا العربية احتفت بك فمنحتك ألقابًا شتى (العالم، والعلّامة، والبروفيسور، وشيخ المحققين العرب).

ويداهمك المرض اللعين لينال من جسدك النحيل، فتقضي شهورًا طويلة بين بيتك والمشفى في رحلة ألم وعذاب، لم تيأس لحظة أو تقنط، فثقتك بالله لا حدود لها، وإيمانك بابتلائه يمثّل عندك طهرا وطهارة وتهيئة لدخول جنات النعيم.

وكما كان في فصل الخريف (٢٥ أكتوبر ١٩٢٥) ميلادك، كان -أيضا- في نفس الخريف (٢٩ نوفمبر ٢٠١٧) رحيلك، وكأنك الخضار في أوان اليابس، والنضارة في سنوات القحط.

اثنان وتسعون عامًا هي عمر وجودك بيننا، قدمت خلالها عطاء سخيًا للثقافة العربية وجامعاتها، وتخرّج من تحت يديك طلاب عِلْم لا ينكرون فضلك، ورسخت لمبادئ ومعارف وأخلاق.

وحين داهمنا نبأ رحيلك، اعتصرنا الحزن العميق، وامتلأت مآقينا بالدموع، ورُحْنا نتبتل إلى الله، وندعو لك.

ولأن الدولة تعرف قدرك وقيمة مكانتك، فقد نعتك وزارة الثقافة المصرية كرئيس للجنة العلمية لمركز تحقيق التراث بدار الكتب.

ونعتك دار الكتب المصرية كشيخ للمحققين العرب.

ونعاك د. جابر عصفور (وزير الثقافة الأسبق) واصفًا إياك بأنك أستاذه ومعلّمه وشيخه الجليل، ذاكرًا علاقتك الطيبة الطويلة به كأحد جيرانك.

واليوم يا سيدي ترحل بجسدك عن دنيا زائلة، تاركًا ميراثًا أغلى من المال وكنوز الأرض، ففكرك وعلمك وتراثك سيظل نبراسًا لأجيال قادمة، وناموسًا لعشاق اللغة والأدب والتحقيق.

إعجاز القرآن

التكرار

الدكتور حسين نصار

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

منهجُ الدكتور حسين نصّار في كتابه فواتح سور القرآن قراءة نقدية

د. حاكم حبيب الكريطي

تُعدُّ كتبُ الدكتور حسين نصّار (رحمه الله) في إعجازِ القرآنِ من المراجعِ المهمّةِ لمن يُريدُ أنْ يقفَ على تطوّرِ دراساتِ الإعجازِ في الموضوعاتِ التي كتب فيها كتبَهُ مثل (الإنباء بالغيب) و(الصِرفة) و(الفواصل) و(القسم) و(الفواتح). وهذه الموضوعاتُ كما يظهرُ من عناوين الكتبِ تمثّلُ التفاتةً دقيقةً لجزئيّاتٍ قرآنيّةٍ تشكّلُ كليّاتٍ معرفية في أبوابها لمن يريدُ أنْ يُبصرَ بعضَ وجوهِ الإعجازِ القرآني في الأبواب المشارِ إليها.

ولا شكَّ أنَّ الجهدَ الذي بذله الدكتورُ (رحمه الله) جهد كبير بحقٍّ، لأنّه أخذَ كلَّ مسألةٍ وبدأ في قراءةِ ما قيل فيها من زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتدرّجَ مع تطوّرها التاريخي إلى العصرِ الحديثِ بأناةٍ ورويّةٍ، وبإيجازٍ شديدٍ، ولكنّه غيرُ مخلٍّ، وهذا يستدعي الاطّلاعَ التامّ على جميعِ ما كُتب في القرآنِ الكريمِ، وهنا لنا أنْ نتصوّرَ مقدارَ الجهدِ المبذولِ في إنجازِ هذه السلسلةِ من كتب إعجازِ القرآنِ.

وعلى الرغمِ من أنَّ هذه الدراساتِ تهتمُّ بالتطوّرِ التاريخي لكلِّ قضيةٍ من قضايا الإعجاز، فإنَّ الدكتور غالباً ما كان يميل إلى الموازنةِ بين الآراءِ، وقد يرجّحُ رأياً مرةً، ويُغفلُ ذلك مرةً أخرى، ومن هنا صارتْ كتبُهُ أقرب إلى البيلوغرافيا التاريخيةِ لدراساتِ إعجازِ القرآنِ كما أشار هو إلى ذلك في المقدّمةِ، وهو عملٌ عظيمٌ لدقّةِ قراءةِ الدكتورِ لما كُتبَ في ذلك. ومع هذا كلّه فقد كان (رحمه الله) معنيّاً إلى حدٍّ معقولٍ في بسطِ آرائهِ فيما يكتبُ. ومن هنا سننظرُ من خلالِ هذه الأوراقِ في منهجهِ، ونقتصرُ فيه على كتابه (فواتح سور القرآن)، ونكتفي بقضيتين فقط، وبإيجازٍ فرضهُ الإيجازُ الموصّى به من المحتفين الأفاضل بالدكتور (رحمه الله).

شغلتْ (فواتحُ السُّور) القرآنية المفسّرين والباحثين في علوم القرآن كثيراً، وذلك لتعذّرِ القطعِ بدلالاتها، فهي حروفٌ مقطّعةٌ لا يمكنُ أن يُستدلَّ على ما تؤدّيهِ من معانٍ إلا بالتخمين والترجيحِ الذي يُبقي البابَ مُشرعاً لتلمّس معان أُخر. ومن هنا كثر الكلامُ فيها وعنها، وجاء كتابُ الدكتور (رحمه الله) (فواتح السور القرآنية) ليُعطينا صورةً لما قيل في هذه القضيةِ إلى زمانِ تأليف الكتابِ. وقد تمسّك بمنهجٍ علميٍّ رصينٍ له سماتهُ المعرفيّةُ، وفيما يأتي قراءةٌ للقضيتينِ اللتين أشرنا إليهما :

الموازنة بين الآراء:

اعتمدَ الدكتورُ على منهجِ الموازنةِ بين الآراءِ للقدماءِ والمحدثين على السّواءِ، وهذا المنهجُ أتاحَ له بسطَ رأيهُ فيما ينقلُ من تلك الآراء، مؤيّداً مرةً ومعارضاً أخرى، ومكتفياً بالنقلِ مرةً ثالثة. ومن ذلك موازنته بين قولٍ للخليفةِ أبي بكر وقولٍ للإمامِ علي بنِ أبي طالب عليه السلام[1] عن دلالةِ الحروفِ المقطّعةِ في أوائلِ السورِ، فأورد ما قالهُ أبو

بكرٍ وهو :((في كلِّ كتابٍ سرٌّ، وسرُّ اللهِ في القرآنِ أوائلُ السورِ[٢]، وما قالهُ الإمامُ عليه السلام وهو:((إنَّ لكلِّ كتابٍ صفوةً، وصفوةُ هذا الكتابِ حروفُ التهجّي))[٣]، وعلّق عليهِ بقولهِ: ((وأنّه أرادَ بذلك ما أرادهُ أبو بكر، وإنْ كانتْ كلمتُهُ توحي إلى جانبِ ذلك بالامتيازِ والنقاءِ))[٤].

إنَّ أوّلَ ما ينبغي أنْ نشيرَ إليه هنا، أنّ الدكتور (رحمه الله) قرّرَ أنَّ ما أرادهُ الإمامُ عليه السلام هو ما أراده أبو بكر بعينهِ، وهنا نقول : إنّ ثمّةَ فرقاً دقيقاً بين القولين وإنْ كانا يقتربانِ من بعضهما في المعنى العامِ كما يرى الأستاذُ، والفرقُ هنا يتمثّلُ في الفرقِ بين لفظتي السرِّ والصفوةِ اللتين تُشكّلان بؤرةً للسياقِ، فالسرُّ في اللغةِ يعني: ما أخفيتَ[٥]، وهذا يعني أنَّ أوائلَ السُّورِ ممّا أخفى اللهُ تعالى معناهُ عن عبادهِ على وفقِ قولِ أبي بكرٍ. أمّا الصفوةُ فتعني: الخالص من كلِّ شيءٍ[٦]، فحروف التهجّي هي التي اصطفاها الله سبحانه وتعالى من القرآن الكريمِ لأمرٍ عنده جلَّ شأنُهُ على وفقِ قولِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام. هذا فضلاً عن أنَّ قولَ أبي بكر يشملُ أوائلَ السُّورِ كلّها وليس فيه ما يقيّدُ دلالته على الحروفِ المقطّعةِ. وإنْ كانتْ داخلةً فيه.

أمّا قولُ الإمامِ عليه السلام فهو يخصُّ الحروفَ المقطّعةَ في السُّورِ التي بدأتْ بها، وهذا فرقٌ واضحٌ أيضاً بين القولين.ويبدو أنَّ الدكتور (رحمه الله) استوقفه هذا الفرقُ بين القولين، فأضافَ وصفاً إلى قولِ الإمام عليه السلام في نهايةِ قوله السابقِ حينما أشارَ إلى أنَّ قولَهُ يوحي بالامتيازِ والنقاءِ، وظنّي، ولعلّهُ الصوابُ إنْ شاء الله، أنَّ التميّزَ والنّقاءَ المشارَ إليها يمكنُ أن يُفسّرا على النحوِ الذي ذهبنا إليه، إذْ لا سبيلَ إلى توجيهٍ آخرَ يمكنُ أن يطرأَ على الذهنِ غير ما أثبتناهُ فيما نظنُّ.

وثمّةَ ضميمةٌ أخرى لعلَّ من المناسبِ أنْ نُشيرَ إليها، وهي إشارةُ الدكتورِ (رحمه الله) إلى إجماعِ العلماءِ على صحّةِ نسبةِ قولِ الإمامِ عليه السلام إليه كما ورد في قوله: ((واتّفقوا أنَّ عليّاً قال)[٧]، في حين لمح إلى اختلافهم في نسبةِ قولِ أبي بكر إليه، كما ورد في قوله : ((وقد أوردَ الطَّبريُّ وغيرُهُ نصَّ هذا القولِ أحياناً ومعناهُ أحياناً أخرى دون عزوٍ إلى صاحبه))[٨]، وهذا ضربٌ من الموازنةِ بين صحّةِ القولين. إذْ لم يطمئنْ الدكتور (رحمه الله) إلى صحّةِ النسبةِ المشارِ إليها من طرفٍ خفيٍّ، ولعلّه وقف أمام ما أجاب به الشّعبي رجلاً سألَه عن فواتحِ السُّور، فأجاب بالقولِ المنسوبِ إلى أبي بكر، ونسبهُ إلى نفسهِ من خلالِ صيغةِ الجوابِ[٩].

ويُوازنُ الدكتورُ (رحمه الله) بين قولِ الإمامِ عليه السلام هذا وبين قولٍ للبيضاوي[١٠]، جاء فيه: ((ولعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها إفهام غيره))[١١]. ويرى هنا أنَّ البيضاوي كان متأثّراً بما تواترَ عن الإمامِ عليه السلام أنّه كان على علمٍ بأسرارِ القرآنِ من الحروفِ المقطّعةِ بأوائلِ السورِ، وإنّ أبناءه من أئمّةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام كان عندهم علم ذلك [١٢].

وعلى الرغمِ من أنَّ الدكتورَ (رحمه الله) أورد قولاً للطبرسي بهذا المعنى، فإنّه أشار في هذا الموطنِ من موازنته إلى رأي أحد المعاصرين الذي أدخلَ قولَهُ في موازنتهِ هذه فقال ما قال[١٣].

ويُوازنُ الدكتورُ في موطنٍ آخر بين آراءِ العلماءِ في قضيةِ تحدّي القرآن للعربِ بالحروفِ المقطّعةِ، وبعد النظرِ الدقيقِ في ذلك، يرجّحُ رأيَ الزمخشري، فيقولُ:

((...ووصل الزمخشريُّ به إلى الغايةِ التي امتلكتْ كلَّ من جاءَ بعدَه، وأنستْهم من كان قبلَهُ، وصارَ كلامُهُ المورِدَ العذبَ)[١٤].

ويظهرُ من هذه الصياغةِ حماسه الشديدِ لرأي الزمخشري وتبنّيه له، إذْ صارَ مورداً عذباً للقدماءِ والمحدثين

في هذه القضيةِ. وبهذا نخلُص إلى القولِ: إنَّ الدكتورَ (رحمه الله) جعل الموازنةَ بين الآراء منهجاً له وهو يبحثُ في الآراء التفسيريّةِ لفواتحِ سور القرآن.

الآراء الشّخصيّة:

على الرغمِ من أنَّ الدكتورَ (رحمه الله) كان معنيّاً بدراسةِ آراءِ العلماءِ في فواتحِ سورِ القرآن دراسةً تاريخيّةً على وفقِ ما قرّره هو في مقدمةِ كتابه، فإنّنا لا نعدمُ بعضَ الآراءِ المتينةِ المعهودةِ منه في آراء العلماءِ أحياناً، إذا رأى فيها ما يتعارضُ مع ما يعتقدُ به.

ومن ذلك ما قالهُ في ردّهِ على المستشرقِ (بوير)، الذي رأى أنّ في كلِّ فاتحةٍ من فواتحِ السورِ رابطاً بما يُذكَرُ في سورتها....فمثلاً {حم} تُشيرُ إلى جهنّم، ولعلّها تبتدئُ بحرفِ الجيمِ الذي يُشبهُ الحاءَ فاختلط ذلك على العربِ فنطقهُ حاءً، وهو في الحقيقةِ جيم[١٥].

وعلى الرغمِ من أنَّ الدكتور أورد ردّاً متيناً للدكتور محمد غلّاب على مقالةِ المستشرقِ هذه، إلّا أنّه لم يكتفِ بذلك، وإنّما أسهم بالردِّ على المستشرق أيضاً بحماسٍ يكشفُ عن إدراكٍ عميقٍ للمعنى القرآني، بعد أنْ رأى أنَّ ردَّ الدكتور محمد غلّاب غير كافٍ على الرغمِ من سخريّته من قول المستشرقِ، فقال: ((وفي اعتقادي إنَّ الردَّ الذي يمحقُ قولَ بوير في {حم}، أنَّ الأصلَ في تلقّي القرآن قديماً وحديثاً هو الأخذُ مشافهةً، والتلاوةُ الصوتيّةُ، لا التدوين الكتابي الذي يمكنُ فيه وقوعُ التحريفِ))[١٦].

وظنّي هنا أنَّ شدّةَ الدكتور (رحمه الله) التي ظهرتْ في استعمالِه للفظةِ (يمحق) التي تعني: النّقضَ والمحو والإبطال[١٧]، جاءتْ ردّاً على قولِ المستشرِقِ بوقوعِ التحريفِ في القرآنِ، وما قالهُ الدكتور (رحمه الله) قولٌ متينٌ تماما، فالتشابهُ بين الجيمِ والحاءِ يظهرُ في الكتابةِ التي لم تُشكّلُ بعدُ في عصرِ التدوينِ الأوّلِ، ويقعُ الإشكالُ غالباً إذا تقارب المعنى التي تؤدّيه اللفظةُ بالحرفينِ، وفي {حم} لا توجد لفظةٌ، ولكنّ المستشرقَ قالَ ما قالَ ليحقّقَ أمرين معاً، القول بالتحريفِ من جهةٍ، وربط الجيمِ بجهنّم ثانياً، ليُطبّقَ الفكرةَ التي جاء بها، وهذا مستبعدٌ بحقٍّ.

ثمَّ تأتي إشارةُ الدكتورِ (رحمه الله) إلى تلقّي القرآن مشافهةً، وهنا لا يبقى بابٌ مفتوحٌ ليلجَ منه رأي المستشرقِ، فلا تشابه في صوتي الحاء والجيم، ولا تقاربَ بين مخرجيهما، فلا يمكنُ والحالُ هذه أنْ يقعَ التحريفُ المزعومُ.

وتبقى إشارةُ الدكتور إلى التلاوةِ الصوتية بوصفها وسيلةً من وسائلِ انتقال النصِّ القرآني عبر العصورِ، أسّاً مكيناً من أسسِ مَحْقِ ما قاله المستشرقُ، لأنّ التلاوةَ تهتمُّ بقراءةِ الحروفِ بإخراجها من مخارجها، وقد أمر اللهُ تعالى المسلمين بترتيل القرآنِ في قوله تعالى {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً} المزمل٤، والترتيلُ يعني: التّحقيقَ والتبيينَ والتّمكينَ في القراءة[١٨]، وهذا يُسقطُ أيَّ فرضٍ لاشتباهِ الأصواتِ في انتقالِ القرآنِ متلوّاً عبر العصورِ. وهذا يُعضّدُ ما ذهب إليه الدكتور (رحمه الله).

وفوقَ ما قدّمنا، فثمّة أمرٌ آخرُ يمتّنُ ما ذهب إليه الدكتور في هذا الموطنِ، وهو أنَّ المسلمين لم يكونوا يكتفون عند جمعِ القرآنِ وتدوينهِ بما كان مكتوباً في الصحفِ التي دُوّنَ فيها القرآن، وإنّما يحتاجونَ إلى شاهدينِ حافظِينِ في أقلِّ تقديرٍ لكلِّ نصٍّ يكتبونه.

ونختمُ هذه الفقرةَ بالإشارةِ إلى أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نطقَ بهذهِ الحروفِ، ومن هنا فهي من الوحي الذي جاء عن اللهِ سبحانه وتعالى. وهذا يُبْطِلُ ما أرادهُ المستشرقُ (بوير) في رأيهِ السابقِ، وهذا ما التفت إليه الدكتور أيضاً في موضعٍ آخر من الكتاب[١٩].

لقد تبيّن لنا في مرّ من هذه الصفحاتِ على الرغمِ من إيجازه دقةُ الآراء التي بسطها الدكتور حسين نصّار في كتابه، وهو المنهجُ العلميُّ المألوفُ فيما كتب في كتبهِ كلّها.

الهوامش

١- فواتح سور القرآن ١١

٢ - نفسه

٣ - تفسير البغوي ٤٤/١ ، تفسير الرازي ٣/٢ ، تفسير القرطبي ١٥٤/١.

٤ - فواتح سور القرآن ١١.

٥ - ينظر : لسان العرب (سرر).

٦ - ينظر : م. ن (صفا).

٧ - فواتح سور القرآن ١١.

٨ - نفسه.

٩ - نفسه ، وينظر قولُ الشعبي في معترك الأقران ١٥٥/١ ، الإتقان ١٠/٢.

١٠ - فواتح سور القرآن ٢٢.

١١ - تفسير البيضاوي ١٤/١.

١٢ - فواتح سور القرآن ٢٢.

١٣ - ينظر : فواتح سور القرآن ٢٢ ، وينظر قول الطبرسي في : مجمع البيان ٣٢/١.

١٤ - فواتح سور القرآن ٣٢.

١٥ - ينظر : م. ن ٥٠.

١٦ - فواتح سور القرآن ٥١.

١٧ - ينظر : لسان العرب (محق).

١٨ - ينظر : لسان العرب (رتل).

١٩ - ينظر : فواتح سور القرآن ١٠١.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤م.

٢. تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٠هـ.

٣. تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٨هـ.

٤. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث،ط٣، ١٤٢٠هـ.

٥. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق : أحمد البردوني، إبراهيم إطفيش، دار الكتب المصرية ١٩٦٤م.

٦. فواتح سور القرآن، الدكتور حسين نصّار،

٧. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.

٨. مجمع البيان، الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤١٥هـ.

في الشعر العربي

الدكتور حسين نصار

أستاذ الأدب العربي

عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة «سابقًا»

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

عبقريٌّ من أسيوط

أ.د. رحيم جبر الحسناوي

عاشَ العلامةُ المحقق الأستاذ الدكتور حسين نصار، رحمه الله ونفع الأجيال بعلمه، بين ربيعين. ربيع ولادته في السابع من ربيع الآخر سنة (١٣٤٤ هـ)، و موافقه الخامس والعشرين من اكتوبر سنة (١٩٢٥ للميلاد). وربيع وفاته في الحادي عشر من ربيع الأول (١٤٣٩ هـ) و موافقه التاسع والعشرين من نوفمبر سنة (٢٠١٧ للميلاد). وبين الربيع الأول والربيع الثاني ربيعٌ دائمٌ من العطاء العلمي الدافق. وهو نابغة أسيوط وعبقريّها الذي اتخذ سبيل مثله الأعلى الإمام السيوطي الكبير المتوفى (٩١١ للهجرة)؛ لذلك فإنه ترك لنا آثارًا متنوّعة تنمّ على ثقافةٍ موسوعيةٍ، فلم يقتصر عطاؤه العلمي على العربية وعلومها، وإنما ألّف في علوم القرآن والتاريخ والتراجم و الأدب واللغة والتحقيق والترجمة.

اختار في مراحل دراسته الأولى القسم العلمي، ومع ذلك اشترك في مسابقة طه حسين مختاراً اللغة العربية ميدانًا للاختبار على تلك الجائزة. واستطاع الحصول عليها متفوّقاً على طلبة القسم الأدبي.كيف لا وكان من بين أساتذته في الثانوية محمد أبو الفضل إبراهيم الذي صار من كبار علماء العربية ومحققيها و قد أثّر في تكوين عبقرية حسين نصّار ؛ لذلك حينما قُبِلَ في جامعة الاسكندرية لدراسة الطب وحالت رغبة أسرته وخوفهم على ولدهم الوحيد دون التحاقه بدراسة الطب في جامعة الاسكندرية بسبب أحداث الحرب العالمية الثانية، لم يجد صعوبةً وهو يولّي وجهه صوب القاهرة ؛ ليدرس العربية في كلية الآداب، بل لاقت هذه المصادفة هوىً في نفسه نتيجة ما غرسه فيها أستاذه في ثانوية أسيوط العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم رحمه الله، فحصل على شهادة الليسانس بمرتبة الشرف عام ١٩٤٧ م، وحصل على الماجستير من القسم نفسه سنة ١٩٤٩ م وكان موضوع رسالته : نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي.

وحصل على شهادة الدكتوراه من آداب القاهرة كذلك عام ١٩٥٣م عن رسالته الموسومة بـ(المعجم العربي نشأته وتطوره) وقد احتلّت الرسالتان موضعها المهم في الدراسات الأدبية واللغوية وقد فتح باب الدرس لمن جاء بعده. لقد نبغ الأستاذ الدكتور حسين نصار نبوغاً ليتصدّر المشهد العلمي مستفيداً من تلمذته لكبار العلماء في عصره من مثل: أمين الخولي، وأحمد الشايب، ومصطفى السقا، وأحمد أمين، وغيرهم من العلماء.

ولم يكن من أسرة علمية، وكانت أسرته تعمل في التجارة، ونبغ فيها من نبغ في القضاء غير أنها لم تكن تُعنى بالعربية وعلومها؛ لذلك كان مجتهدًا وعصامياً في مسيرته العلمية ودراساته اللغوية.

ومن الذين لازمهم في تلك المسيرة أستاذه وشيخه الذي أشرف على رسالتيه في الماجستير والدكتوراه العلامة الدكتور مصطفى السقا وهو من كبار المحققين وكان يشاركه في أعماله العلمية، ولم ينسَ الشيخ جهد تلميذه فكان يذكر له ذلك في مقدمات كتبه، وربما فسّر لنا ذلك رغبة الدكتور حسين نصار في التحقيق وما بذله من جهد فيه مع

بصمةٍ كان تركها في شخصيته العلمية في بواكير تفتحها المحقق الكبير أبو الفضل إبراهيم.

من الكنوز التي أحياها العلامة الدكتور حسين نصار: ما يقارب الثمانية عشر كتاباً حققه تحقيقاً علمياً، منها دواوين شعر كديوان عبيد بن الأبرص الأسدي وديوان جميل بثينة وديوان ابن الرومي ويقع في ستة مجلدات والعاطل الحالي والمرخّص الغالي، لصفي الدين الحلي على سبيل المثال لا الحصر.

ومن تحقيقاته ما يقع في باب المعجمات والتراجم من مثل: معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية ويقع في ستة مجلدات، والجزء الثامن من مختار الأغاني، لابن منظور. والنجوم الزاهرة في حليّ حاضرة القاهرة، لابن سعيد الأندلسي، والجزء السادس عشر من معجم تاج العروس. وحقّق ما تركه مخطوطاً أستاذه مصطفى السقا وفاءً من التلميذ لشيخه و هو: المختار من الموشحات، لمصطفى السقا. ومن تحقيقاته كذلك: الوقف على (كلا) و (بلى) في القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي، ورحلة ابن جُبَيْر، وسوى ذلك ممّا لا يسع المجال لذكره.

ومن أهمّ مؤلفاته كتابه: المعجم العربي نشأته وتطوره. فهو الرائد في دراسة المعجم العربي على وفق منهج علمي أكاديمي صار مرجعاً للدراسات اللاحقة. لكن مؤلفاته تنوّعت بحكم ثقافته الموسوعية التي كان يقتدي فيها بالإمام السيوطي رحمه الله، ويمكن أن نستعرض أهمها بحسب الحقول المعرفية التي كتب فيها وعلى النحو الآتي:

علوم القرآن:

ـ إعجاز القرآن (التحدي، المعارضة)، (العجز، المعجزة، الإعجاز، التأليف في إعجاز القرآن) كتابان في مجلد واحد، طبع في مكتبة مصر ١٩٩٩م.

ـ الفواصل في القرآن، طبع في مكتبة مصر ١٩٩٩م.

ـ الصَّرْفة والإنباء بالغيب، طبع في مكتبة مصر ٢٠٠٠م.

ـ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، طبع في دار الهلال ٢٠٠٠م.

ـ الإبهام في القرآن والإعجاز العددي. طبع في مكتبة مصر ٢٠١١م.

ـ الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، طبع في دار العالم العربي، مصر ٢٠١١م. وسوى ذلك ممّا ألّفه في هذا الحقل.

بعض مؤلفاته في الأدب :

ـ نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، طبع في مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤م.

ـ ظافر الحداد شاعر مصري من العصر الفاطمي. طبع في الهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م

ـ أدب الرحلة. طبع في شركة أبو الهول ١٩٩١م.

ـ في الشعر العربي، وفي النثر العربي، كتابان طبع الأول في مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠١م، والثاني في مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م. وسوى ذلك.

بعض مؤلفاته في اللغة والتراجم :

ـ المعجم العربي نشأته وتطوره. طبع في مكتبة مصر ١٩٦٥م، واعيدت طباعته مرات عدّة.

ـ معجم آيات القرآن الكريم طبع في مطبعة الحلبي ١٩٥٤م

ـ مدخل تعريف الأضداد. طبع في مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٣م.

ـ بحوث ومقالات لغوية. طبع في مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٤م.

ـ يونس بن حبيب.طبع في دار الكاتب العربي ١٩٦٨م.

ـ أمين الخولي. طبع في مطبعة المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦م.

ـ التحدّث بنعمة الله. وهي سيرته الذاتية كتبها مقتفياً أثر رمز أسيوط الخالد الإمام السيوطي الكبير الذي كتب سيرته

وحملت عنوان: التحدّث بنعمة الله.

وللدكتور حسين نصار مؤلفات في التاريخ وترجم كتباً عدّة من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية لا مجال لذكرها في هذه العجالة.

وحصل الدكتور حسين نصار على جوائز ثمّنت إبداعه وعطاءه العلمي، وعبقريته الفذة من مثل:

ـ جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٦٨م.

ـ جائزة الملك فيصل العالمية في الآداب عام ٢٠٠٤م.

ـ جائزة الرئيس مبارك في الآداب عام ٢٠٠٦م.

وأخيراً فقد نال الدكتور حسين نصار تكريماً من نوع آخر انصبَّ على عطائه العلمي من لدن تلامذته ومريديه. فكتب عنه الدكتور حسام عبد الظاهر : العطاء العلمي والثقافي للدكتور حسين نصار، وطبع في دار الكتب المصرية. والدكتور عادل سليمان أشرف على الكتاب التذكاري: ثمرات الامتنان، دراسات أدبية ولغوية مهداة الى الدكتور العلامة حسين نصار بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين. ولاشك في أن جهده العلمي وسيرته المعطاء بحاجة الى دراسات أكاديمية من لدن المتخصصين في علوم اللغة والأدب، والتاريخ، والترجمة.

تغمّده الله بواسع رحمته ونفع الدارسين بعلمه.

والحمد لله أولاً و آخرًا.

الدكتورُ حسين نصار
قبضةُ سنابل . . . واضمامةُ أزاهير

أ.د. طارق الجنابي

علم من أعلام العربية ذوي السواري العالية، جمع ثقافة العربية فأوعى وأوعب، فهو الأديب والباحث والناقد في قديم الأدب وحديثه، وقد فتح هذا الباب على مصراعيه في رسالته للماجستير (نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي)، وينمّ الموضوع على توجّه فني في الخطاب النثري يعبّر عن فكر واعٍ، ورؤية عميقة مبكّرة للإبداع في السرد العربي، وهو في هذا الميدان فارس مجلّ، نهد الى تحقيق جمهرة من دواوين الشعر العربي، وآثاره، وتاريخه.

والى جانب هذا الخط البحثي، سار خط ثانٍ يوازيه، هو الدرس اللغوي في رسالته للدكتوراه (المعجم العربي: نشأته وتطوّره)، وقد اكتسب شهرة عالمية، حتى لقد غلب على سائر ما صنّف أو كتب من أبحاث ودراسات لغوية وهي شتى

وأمّا الخط الثالث فهو الدراسات القرآنية، وتضم ما يتصل بإعجاز القرآن، وتفسيره، وموضوعاته الفنية، ولعله لم يذر بابا من ذلك الاّ طرقه.

وكان الخط الرابع الموازي هو قضايا اللغة، فثمّ دراسات وأبحاث ومقالات وتحقيقات، سنستقبل ذكر أمثلة منها.

وكان الخط الخامس من شأنه ايقاع الشعر: الوزن والقافية وثمة خط سادس لجمع الشعر، وتحقيق الدواوين ممّا يبهر به الشداة والبناة، وأهل الذوق والنظر للتاريخ خط سابع في رؤى الفذ الأريب وللثقافة، والأدب الشعبي، وأدب الرحلة خطوات واسعة في المسيرة المعرفية لهذا الرجل النادر بين الرجال.

لقد قرأت فيما قرأت له (الشعر الشعبي العربي)، فوجدت احاطة بفنون الشعر القديم، وعرفت ان الرجل بحر لا يصل البصر الى ساحله.

والشعر الشعبي عنده هو ما سمّاه (الدكتور رضا محسن القريشي) الباحث في هذا الميدان (الفنون الشعرية غير المعرّبة)، أي ما ليس من الشعر الفصيح، وهي الزجل، والكان وكان، والقوما، والمداليا،

أمّا الشعر والموشح، والدوبيت فهي المعرّبة الفصيحة، بيد أن الدكتور حسين نصار قد أوغل في القديم وتجاوز الفنون الأربعة، وهي فنون مولّدة (وقد تحدّث عنها حديثا موجزاً)، ليحيط بشعر المناسبات عند العامة، من عصر ما قبل الاسلام، فيقف عند محطات يعبّر فيها القوم عن أحلامهم، واحتفالاتهم، وأيامهم، وعاداتهم، وتقاليدهم.

ولم يكن ليفلت من قبضة حسين نصار علم من علوم العربية، فكان ينبغي أن يكون للنحو والنحويين مكان في تأملاته وأعماله، فيصطحب (يونس بن حبيب) ثاني شيوخ سيبويه بعد الخليل، تمثّل آراؤه النحوية المبكرة، ركنا ركينا في بناء نظرية النحو العربي.

إن دراسته لـ (يونس) دراسة شاملة له: إنساناً، ورواية للشعر، ولغوياً، ونحوياً تجري به لغة سمحة أنيقة، كأّن المرء يقرأ له سرداً روائياً، ومّما انتهى إليه أن (حبيب) اسم امه لا اسم ابيه، والعرب تسمّي بـ(فعيل) للذكر والانثى.

وقد انتهى به القول الى ان يونس نحوي من ذوي الرأي السديد عند سيبويه، ومن تلاه، ورجح عنده قول ياقوت في اطرائه: الإمام نحاة البصرة في عصره، ومرجع الادباء والنحويين.

ولم يقصد حسين نصار في ترجمة أعمال نافعة تتصل بالتاريخ الحضاري العربي، فقد ترجم سبعة كتب منها ثلاثة في الموسيقى العربية، وثلاثة في التاريخ الاسلامي لـ (مركيلوث) و (برنارد لويس) و (هورفتتس) ودراسة لـ (روفون كارت) عن (ابن الرومي).

معلوم أن أغزر ديوان للشعر العربي في تاريخه هو ديوان (ابن الرومي)، أصدر منه (محمد شريف سليم) جزءين سنة ١٩١٧، على الاول تعليقات، وليس في المعاني إلاّ النص، ولأمر ما لم يكمل الرجل عمله، وقيل: إن كل من يتصدّى لنشر الديوان يلحقه شيء من الشؤم، ولأن الدكتور نصاراً لا يؤمن بالطيرة أقدم على تحقيقه بأناة وتؤدة وروية حتى أتم نشره في ستة أجزاء.

من جميل المصادفات أن منّ الله عليّ بأن اكون في لجنة محكّمة مع الدكتور تمام حسان والدكتور حسين نصار (وهما من جيل اساتذتي)، عشرة أيام لم نفترق فيها إلاّ ان نخلد للنوم في غرفتنا، وسائر الوقت ننظر في النتاجات، أو نجلس الى مائدة الطعام، وقفت اللجنة أمام ترشيحين: أحدهما مصري قريب منها، ولكنها أبيا ترشيحه لشبهة في الأمانة العلمية بموضوعية مطلقة.

ومن (موضوعيته) ورجاحة علميته، أنه شارك في مسابقة بحثية أعلنت عنها دورية (اللسان العربي) التي يصدرها (مصدر تنسيق التعريب) في المغرب، كان الموضوع في الاضداد باسم (حسين محمد) أي: أغفل الشهرة (نصار). واضح مسوغ ذلك.

وأخيراً، عمل حسين نصار استاذاً في كلية الشريعة ببغداد في ستينيات القرن الماضي، وأمامي الآن العدد الثاني من مجلة الكلية (١٩٦٥-١٩٦٦)، وفيه بحث علمي رصين عن كتاب (الجيم) لأبي عمرو الشيباني حرّره الدكتور نصار على الأصل المخطوط الفريد المحفوظ في مكتبة الاسكوريال، قبل ان يرى النور، والعدد الثالث من المجلة، وفيه حقّق (نصار) رسالة (كلا وبلى) لمكي بن ابي طالب وأمّا قبل.

فقد ولد حسين نصار عام ١٩٢٥م، و عُمِّر حتى بلغ الثانية والتسعين، قضى منها سبعة عقود من العمل العلمي الرصين: تأليفاً وتحقيقاً وترجمة وتدريسا.

قال لي صاحبي: قد أضاع نصار تخصّصه

قلت: عجباً ! اليس الادب بأنواعه: شعراً وسرداً، نصا لغويا! ألم أقل لكم: إن حسين محمد نصار كان يحلّق بجناحين عريضين غير مهيضين في فضاء العربية الفسيح. وحاز بذلك جوائز كبرى، أغلاها محبة طلابه وعارفيه، ورضا الله بإذنه و (ذلك هو الفوز العظيم).

دراسات لغوية

الدكتور حسين نصّار

دار الرائد العربي
بيروت - لبنان

معجم "مقاييس اللغة" لابن فارس "٣٩٥هـ" في نظر الدكتور حسين نصار

أ.م.د. خالد عباس السّباب

- مقدمة.

وضع الدكتور حسين نصار معجم (مقاييس اللغة «لابن فارس ضمن المدرسة المعجمية الثانية في كتابه القيّم (المعجم العربي نشأته وتطوره « إذ قسّم في كتابه هذا، التراث المعجمي العربي قديما وحديثا على مدارس معجمية مستندا في تقسيمه، في الأصل، إلى طريقة ترتيب المواد اللغوية داخل كل معجم، ومن المعروف أن هناك طريقتين رئيستين في ترتيب المعجم العربي، هما: الترتيب الصوتي، والترتيب الهجائي، وبناء على ذلك جاءت دراسته لمقاييس اللغة ضمن المدرسة الثانية التي ضمّت فضلا عنه، «معجم مجمل اللغة« لابن فارس نفسه، ومعجم «جمهرة ابن دريد « في القرن الثالث، وبهذا تكون هذه المدرسة متألّفة من ثلاثة معجات.

في هذه المقالة استعرض بشكل موجز رؤية الدكتور حسين نصار لهذا العمل المعجمي الذي تفرّد به ابن فارس، أعني: مقاييس اللغة، إذ لم ينسجه على منوال سابق، ولم يقلّده تأليف معجمي لاحق، فالفكرة التي قام عليها تتسم بقدر كبير من الأصالة وانتفاء التقليد.

* المدرسة المعجمية الثالثة.

قال الدكتورحسين نصار((تضمّ هذه المدرسة ثلاثة معجات، هي جمهرة ابن دريد من القرن الثالث، ومقاييس ابن فارس ومجمله من القرن الرابع. وكان أول غرض لها تجنّب النظام الذي سارت عليه المدرسة السابقة [يقصد: المدرسة الأولى التي اتخذت الترتيب الصوتي- المخرجي منهجا في ترتيب المداخل وعلى رأسها معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي]،وفيه عسر ومشقة على القرّاء، فأهملتْ ترتيب الحروف على المخارج، وتمسّكت بالترتيب الألف بائي، الذي قال عنه ابن دريد: إذ كانت الحروف المرتّبة على الألف باء بالقلوب أعبق، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة، وطالبها من هذه الجهة بعيدا من الحيرة، مشفيا على المراد، بخلاف نظام المخارج الذي رأينا آنفا نظرته إليه))[1].

* مقاييس اللغة.

أشار الدكتور حسين نصار إلى منهج ابن فارس في المقاييس وصرّح بأنه اتخذ أسسا تقترب من أسس ابن دريد في تقسيم كتابه الجمهرة وترتيبه مع بعض خلاف، ففي الترتيب وافق ابن دريد، فكان على وفق الألف باء، ولكنه لم يجعله مطردا أو أساسا أول للتقسيم إذ خالفه موافقا الخليل في بناء معجم العين، عندما جعل القسم الأول من المقاييس لحرف الهمزة وسمّاه كتاب الهمزة،يليه كتاب الباء، فكتاب التاء... الخ، ثم قسّم كل كتاب منها إلى ثلاثة أبواب بحسب الأبنية: أولها باب الثنائي المضعّف، فباب الثلاثي، وأخيرا مازاد على الثلاثي من المجرد، فطرح بذلك الأبواب الكثيرة

التي عند ابن دريد، والخليل، واكتفى بهذا التقسيم الصغير، كيلا يفلت النظام منه فيقع فيما وقعا فيه على حدّ تعبير الدكتور نصّار[٢].

التزم ابن فارس بترتيب الأبواب داخل الكتاب الواحد بأن يذكر في كل باب الحرف المعقود له الكتاب مع الحرف الذي يليه بحسب الترتيب الهجائي، وبعد أن تنتهي الحروف التالية له يعود أدراجه فيذكر الحروف السابقة عليه الواحد بعد الآخر وبحسب الترتيب أيضا، ففي المواد الثلاثية مثلا التزم المصنف بعدم ذكر الحرف الأول، وهو الحرف المعقود له الكتاب إلّا مع الذي يليه هجائيا (الحرف المعقود له الباب)، وهما الحرفان اللذان يستمران حتى آخر باب من أبواب الكتاب، وبعد ذلك يبدأ بذكر الحروف التالية للحرف الثاني(الحرف المعقود له الباب) التي تشكّل مادة ثلاثية مستعملة، الواحد بعد الآخر، وبعد أن تنتهي يعود فيذكر الحروف السابقة عليه إلى أن يصل إلى أقرب حرف سابق له من الممكن أن تتشكّل معه مادة مستعملة، وعند ذلك ينتهي الباب.

ولتوضيح ذلك أضرب مثلا بباب الخاء والراء وما يثلثها، إذ رتّب ابن فارس مواده هكذا:خرز، خرس،خرش، خرص، خرض،خرط، خرع، خرف، خرق، خرم، خرب، خرت، خرث، خرج، خرد.

يتضح من هذا المثال أنّ الحرف الثالث هو المتغيّر، أمّا (الخاء) فهو حرف الكتاب (كتاب الخاء)، أمّا (الراء) فهو حرف الباب الذي رتّب على أساسه الحرف الثالث سواء أكان سابقا عليه أم تاليا له، ولذلك فإنّ قول الدكتور حسين نصار واصفا بعض منهج ابن فارس في ترتيب مواده:((ورتبّها الترتيب المألوف أي مبتدئا بالألف فالباء فالتاء حتى ينتهي عند الحرف السابق مباشرة لحرف الباب أو حرف الباب نفسه)) [٣]قول فيه حاجة إلى إعادة نظر لسببين: أحدهما، إن الباب معقود للحرف الثاني كما ذكرت، لأن الحرف الأول هو حرف الكتاب بدليل أن الحرف الثالث (الدال) في المادة الأخيرة من هذا المثال (خرد) رُتّب على أساس الحرف الثاني (الراء) وليس على أساس الحرف الأول (الخاء)، فهو يأتي بحسب الترتيب الهجائي تاليا (للخاء) وسابقا على (الراء).

والسبب الآخر، ليس بالضرورة أن يشكّل الحرف السابق مباشرة لحرف الباب مادة مستعملة، فالحرف السابق مباشرة لحرف الباب (الراء) في هذا المثال هو (الذال) وهو لا يشكّل مع الحرفين الأوليين مادة مستعملة، فالصواب أن تكون عبارة الدكتور حسين نصار كما يلي: إنّ الباب ينتهي عند (أقرب) حرف سابق للحرف المعقود له الباب يشكّل مادة مستعملة. فعند ذاك يكون (الدال) في (خرد) هو الحرف الأقرب إلى (الراء)، وهذا بصرف النظر عن فهم الدكتور نصار للحرف المعقود له الكتاب، هل هو الأول أم الثاني.

أمّا في باب مازاد على ثلاثة أحرف فلم يتبع ابن فارس المنهج الذي سار عليه في ترتيب المواد الثنائية والثلاثية، فاكتفى بإيراد الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف استنادا إلى الحرف الأول، وهو الحرف المعقود له الكتاب، وكان أول باب ضمّ هذه الكلمات، باب مازاد على ثلاثة أحرف أوله باء [٤]، لأنه عدّ (الألف) زائدة.

*فكرة الأصول في بناء المقاييس.

قال الدكتور حسين نصار:((يدير ابن فارس المادة كلها على أصل واحد أو أصلين أحيانا او ثلاثة، وقد يرتفع إلى أربعة أو خمسة. وربما لايجد لبعض المواد أصولا البتّة، فيحكم عليها بالتباين)) [٥]، على أنني وجدته يصل بهذه الأصول إلى ستة وذلك في مادة (صفر).

ألّف ابن فارس مقاييسه استنادا إلى الاشتقاق

الصرفي أو كما أطلق عليه ابن جني: الاشتقاق الصغير أو الأصغر، أو كما سمّاه بعض الدارسين المحدثين: الاشتقاق العام[٦]. قال الدكتور حسين نصار واصفا طريقة بنائه، إن ابن فارس رمى ((إلى كشف الستار عن المعنى الأصلي المشترك في جميع صيغ المادة، وسمّى هذه المعاني الأصول والمقاييس)) [٧].

وقد وهم بعض المحدثين عندما وصف منهج المصنف في المقاييس، في مقدمتهم، محققه، الأستاذ عبد السلام هارون، إذ قال:((وهو يعني بكلمة المقاييس ما يسميه بعض اللغويين الاشتقاق الكبير الذي يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معان تشترك فيها هذه المفردات))[٨]، ووقع في الوهم نفسه الدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور أحمد عبد الغفور عطار، وقد ذكر أحد الدارسين أقوال هؤلاء الباحثين مفصلا القول في الرّدّ عليهم[٩]، وأضيف إلى قائمة الواهمين، الدكتور عمر الدّقاق إذ قال:((إنّ فكرة المقاييس التي أطلقها ابن فارس عنوانا لمعجمه كانت تشغل ذهنه وهو يعني بالمقاييس: الاشتقاق الكبير، الذي يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معان تشترك فيها هذه المفردات)[١٠]، ويتضح من قوله هذا أنه يردّد عبارات محقّق المقاييس بالنص. أما الدكتور إميل يعقوب فقد أشار إلى أنّ فكرة الأصول التي اتّبعها ابن فارس يسمّيها اللغويون الاشتقاق الأكبر، فقال:((كانت غاية ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة، كشف الستار عن المعنى الأصلي المشترك في جميع صيغ المادة، وسمّى هذه المعاني: الأصول والمقاييس، ويسمّيها اللغويون:الاشتقاق الأكبر))[١١]، وعبارته هذه تكاد تكون نفسها عبارة الدكتور حسين نصار آنفة الذكر عدا هذا الوهم الذي وقع فيه وكرره في مكان آخر من كتابه ناسبا إلى ابن فارس في هذه المرّة، دراسته الاشتقاق الكبير في معجمه، فقال:((اهتم بفكرة الأصول أو الاشتقاق الكبير فأدار المادة كلها على أصل واحد أو أصلين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة))[١٢].

أقول: إنّ ابن فارس لم يبحث في الاشتقاق الكبير في المقاييس ولا في أي مصنف وصل إلينا، حتى إنه في المقاييس لم يجعل من أصوله، الألفاظ التي حدث فيها قلب لغوي أو مايسمّى بالاشتقاق الكبير، أو التي حدث فيها إبدال لغوي أو مايسمّى بالاشتقاق الأكبر، ولهذا فإنّ هذا الوهم الذي وقع فيه هذا النفر من الباحثين ليس له مايسوّغه، وكل ما في الأمر، أنّ ابن فارس توسّع في الاشتقاق الصغير،فالمشتقّ ((عند النحويين: اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعَل التفضيل، أمّا الصرفيون فيضيفون إلى هذه المشتقات، اسم المكان واسم الزمان واسم الآلة، أمّا اللغويون فالاشتقاق عندهم أعمّ، فهم يشتقّون من أسماء الأعيان ويرون بعض الجوامد مشتقة، كالخيل من الخيلاء، والإنسان من الأنس أو النسيان))[١٣]، ونظرة إلى أية مادة من موادّه تعزّز ما قلته بوجه لايقبل الشك.

* الألفاظ التي لم تخضع لفكرة الأصول.

وهي بحسب دراسة الدكتور حسين نصار مايلي[١٤]:-

١- المشكوك فيها مثل (البِلْز) وهي المرأة القصيرة.

٢- المواد المعرّبة، مثل: الإجاص.

٣- المواد المبدّلة، مثل(الأثن) فهي مبدلة من (الوثن).

٤- المواد المقلوبة، مثل(بَخّ) فهو مقلوب(خبّ).

٥- المواد التي تتألّف منها كلمة واحدة، وهي ليست من باب الإبدال أو القلب، مثل (أمّا الهمزة والراء والواو فليس إلّا الأروى).

٦- حكاية الأصوات، مثل(أمّا الهمزة والهاء فليس بأصل واحد لأنّ حكايات الأصوات ليست أصولا يقاس عليها).

٧- أسماء النباتات والأماكن والأعلام والألقاب.

٨- الإتباع. (الباء والياء والصاد ليس بأصل، لأنّ بيص

إتباع لحيص).

٩- المواد المنحوتة. مثل(رجل إمَّعَة)،وهو: ضعيف الرأي القائل لكل أحد أنا معك... والأصل: مَعَ، والألف زائدة.

١٠-المبهمات. مثل(حيث)، فهي موضوعة لكل مكان، وهي مبهمة.

* فكرة النحت.

كان لابن فارس مذهب واضح في باب مازاد على الثلاثي، أفصح عنه في أول باب منه، فقال:((اعلم أنّ للرباعي والخماسي مذهبا في القياس، يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أنّ أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النحت، أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ))[١٥]، لكنه درس قسمين آخرين ضمن هذا الباب، وهما: الألفاظ المزيدة، والألفاظ الموضوعة وضعا.

ومن أمثلة النحت عنده قوله مثلا:((ومن ذلك، البرجد، وهو كساء مخطط، وقد نحت من كلمتين: من البجاد، وهو الكساء وقد فُسِّرَ، ومن (البرد) والشبه بينهما قريب)) [١٦].

وقد صنّف ابن فارس المنحوت، بحسب استقراء الدكتور حسين نصار للمعجم، أصنافا[١٧]، أولها المنحوت من كلمتين فقط وهو الأكثر مثل(بحتر) وهو من: بتر وحتر، وثانيهما: المنحوت من ثلاث كلمات مثل(القَلْفَع) وهو ما يبس من الطين على الأرض فيتقلَّف. وهذه منحوتة من ثلاث كلمات من قَفَعَ وقَلَعَ وقَلَفَ. وثالثها: المنحوت من كلمتين ودخلته زيادة حرف، مثل (الحِنْزَقْرَة)، وهو القصير، وهذا من (الحزق) و(الحقر)، مع زيادة النون. وآخر الأصناف: الكلمات المتأرجحة بين النحت والزيادة مثل (جندل) فيجوز أن يكون نونه زائدة، ويكون من (الجدل)،ويجوز أن يكون منحوتا من هذا، ومن (الجند) وهي أرض صلبة.

* الألفاظ المزيدة

يقول ابن فارس عنها((... ومنه ما أصله كلمة واحدة وقد أُلحِقَ بالرباعي والخماسي بزيادة تلحقه))[١٨]، وهي الزيادة التي سماها النحويون (زيادة الإلحاق)، لأنّ الزيادات ثلاثة أنواع((...زيادة معنى وزيادة إلحاق بناء ببناء، وزيادة بناء فقط))[١٩].

جعل ابن فارس الزيادة مطردة في إفادة زيادة المعنى، قال:((ومن هذا الباب ما يجيء على الرباعي وهو من الثلاثي على ماذكرناه، لكنهم يزيدون فيه حرفا لمعنى يريدونه من مبالغة كما يفعلون ذلك في « زرقم » و(خلبن «.لكن الزيادة تقع أولا وغير أول)) [٢٠].

* الألفاظ الموضوعة وضعا.

وصف الدكتور حسين نصار منهج ابن فارس في هذا القسم، بقوله:((أمّا الموضوع فيحترس المؤلف بإزائه ويصرح بأنه ربما كان مشتقّا ولم يصل هو إلى معرفته... والسبب في هذا أنّ اشتقاقه خفيّ جدا أو ليس ظاهرا. والحق، أنه يشك في هذا الصنف من الألفاظ)) [٢١]. قال مثلا:

((والأصل في هذه الأبواب الموضوعة أنّ كلّ ما لم يصحّ وجهه من الاشتقاق الذي نذكره فمنظور فيه إلّا ماروا‌ه الأكابر الثقات. والله أعلم)) [٢٢].

من أمثلة هذا الباب في المقاييس قوله:((البهصلة: المرأة القصيرة، وحمار بهصل: قصير)) [٢٣].

* ختاما، أقول:

إنّ معجم مقاييس اللغة لابن فارس كان في نظر الدكتور حسين نصار انتقالة نوعية مميزة سواء على مستوى الترتيب على وفق الألف باء أم على مستوى الفكرة التي أقام عليها معجمه، وهي فكرة الأصول التي توسّع فيها وطبّقها على طائفة كبيرة جدا من المداخل المعجمية، فيما حاول أن

يدرس كلمات أخرى على وفق فكرتي: النحت والزيادة وقد نجح في ذلك نجاحا يعتدُّ به، إلّا أنّ الدكتور نصّار لم يغفل مواضع القصور في هذا المعجم، إذ بيّن مجموعة من المآخذ على صنيع ابن فارس، من ذلك، اضطرابه في تقسيم المواد بحسب أصولها فكثيرا ما أتى بأشياء تتصل بالأصل الثاني في القسم الأول، والثالث في الثاني وما إلى ذلك. ثم إنه لم يشرح بعض الألفاظ، ولم ينسب طائفة كبيرة من الأقوال التي يقتبسها إلى أصحابها، كذلك نجد تكرارا لبعض الألفاظ،ولبعض المواد اللغوية.

الهوامش

١- المعجم العربي نشأته وتطوره، د. حسين نصار، دار مصر للطباعة ، ط٢، ١٩٦٨.ص٣٧٠.

٢ - ينظر: المرجع نفسه،ص٣١٨ ومابعدها.

٣ - المرجع نفسه ،ص٣٤٢.

٤ - ينظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٣ ،١٩٦٩-١٩٧٢، ص٣٢٨.

٥ - المعجم العربي ،ص٣٤٩.

٦ - ينظر: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ،ط٥ ،١٩٧٥ ،ص ٦٢.

٧ - المعجم العربي ،ص٤٣٥.

٨ - مقاييس اللغة ، مقدمة المحقق ،١/٣٩.

٩ - ينظر: الدراسات اللغوية والصرفية في معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ، عمران عبد الكريم حزام ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٨ ، ص٨٥ ومابعدها.

١٠- مصادر التراث العربي ،د. عمر الدقاق، منشورات جامعة حلب ، ط٥ ،١٩٧٧ ، ص١٩٣.

١١- المعاجم العربية، بداءتها وتطورها ،د. اميل يعقوب ، بيروت ،دار العلم للملايين ،١٩٨١، ص٨٥.

١٢- المرجع نفسه ،٨٨.

١٣- ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديثي، بغداد، مطبعة النهضة،١٩٦٥، ص٢٤٦-٢٤٧.

١٤- ينظر: المعجم العربي ،٣٥٠ ومابعدها.

١٥- مقاييس اللغة ،١/٣٢٨.

١٦- المصدر نفسه ،١/٣٧١.

١٧- ينظر: المعجم العربي،٣٤٥ ومابعدها.

١٨- مقاييس اللغة ،١/٥١٢.

١٩- شرح المفصل لابن يعيش،القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية ، د. ت ،٩/١٤٤.

٢٠- مقاييس اللغة ،١/٣٣٢.

٢١- المعجم العربي ،٣٥٧.

٢٢- مقاييس اللغة ،١/١٤٨.

٢٣- المصدر نفسه ،٢/٣٧١.

إعجاز القرآن

القسم في القرآن الكريم

تأليف

الدكتور حسين نصار

عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة سابقًا

الناشر

www.books4all.net
مكتبة سور الأزبكية

رموزٌ لن ينساها التاريخ
عالمنا الكبير حسين نصار

إيمان عنان / مصر

تبقى هناك شخصياتٌ تترك لنا أثرًا كالنقش على الحجر، رموز لن ينساها التاريخ، قامات يفخر بها التاريخ العربي خاصةً إذا كان كاتبًا أو مؤرخًا أو مفكرًا، أو علما دينيا، ومن تلك الشخصيات التي لم ولن تنسى الكاتب الفذ الأستاذ الدكتور حسين نصار والذي اطلق عليه العديد من الألقاب ليست من فراغ وإنما لأنه قامة أدبية سامقة، رمزًا من رموز الثقافة العربية، ولنا أن نجوب في رحلة قصيرة نستعرض فيها بعض المعلومات عن تلك الشخصية التي كان لها اثر غائر في أوساطنا الثقافية

فحسين محمد نصار، مؤلف ومحقّق ومترجم مصري، ولد الدكتور في حارة كوم بهيج في مدينة أسيوط ٢٥ أكتوبر عام ١٩٢٥. وقد نشأ نشأة تقليدية، فلم تكن لعائلته اهتمامات علمية، فقد كانت تعمل في مجال التجارة، تلك البيئة التي لم يكن من المتوقع أن ينبغ أفرادها في العلم، فلم يواظب على حضور الكُتّاب وهو صغير ولم يحفظ من القرآن سوى جزء «عمّ» فقط ليصلي به.

ويبقى في أذهاننا سؤال يطرح نفسه وهو كيف صار الدكتور حسين نصار إلى ما صار إليه؟

فأجاب شيخ المحققين في إحدى لقاءاته الصحفية فذكر لنا كيف كان مدرس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية حريصًا على أن يأخذ منه ومن زملائه جزءًا يسيرًا من مصروفهم الشخصي ليشتري لهم كتبًا يقرؤونها، بل ويطلب منهم الحضور مبكرًا قبل موعد الدراسة بساعة واحدة ليناقش معهم موضوعات الإنشاء التي يكتبونها.

في المرحلة الثانوية التحق الدكتور حسين نصار بالقسم العلمي، وكان من المفترض أن يلتحق بكلية الطب جامعة الإسكندرية ولكن دائمًا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فنظرًا لظروف الحرب لم يكمل دراسته، فقرر العودة إلى القاهرة، وحوّل دراسته من الطب إلى دراسة الآداب في قسم اللغة العربية، ولكي يتم قبوله في كلية الآداب قدّم لمسابقة مجانية وهي عبارة عن امتحان في عدة كتب قُررت على المتقدمين لهذه المسابقة، فكان الدكتور زكي مبارك يتعرّض لهذه الكتب بالتحليل والنقد في مجلة «البلاغ». وفي الجامعة تتلمذ نصار على يد جهابذة العلماء والأدباء مثال أمين الخولي وأحمد الشايب ومصطفى السقا وأحمد أمين وغيرهم من العلماء، وفي ذلك الحين كان حريصًا على الذهاب إلى دار الكتب المصرية لمطالعة الكتب واستعارتها.

حصل على ليسانس الآداب مع مرتبة الشرف الثانية عام ١٩٤٧، ثم التحق بالعمل في الإذاعة المصرية عام ١٩٤، ثم قرر خوض غمار الماجستير واختار استاذه العلامة مصطفى السقا ليكون مشرفًا على رسالته والذي أدان له بالفضل العظيم في تكوينه النفسي، حيث كان والده الروحي فلازمه ملازمة الابن لأبيه، وشاركه في كثير من أعماله وأفاده في دراسته، وحصل على درجة الماجستير

في الآداب عن دراسته لموضوع (نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي) عام ١٩٤٩ وعيّن معيدًا في القسم نفسه ١٩٥٠ وأكمل دكتور السقا معه المسيرة فأشرف ايضًا على رسالة الدكتوراه حتى حصل نصار على درجة الدكتوراه عن دراسته لموضوع (المعجم العربي وتطوره) عام ١٩٥٤، فواصل أستاذه السقا دعمه لتلميذه النجيب ليعينه على نشر كتبه من خلال علاقاته بأصحاب دور النشر.

في عام ١٩٦٩ م عيّن الدكتور حسين نصار أستاذ كرسي «أدب مصر الإسلامية»، ثم ترأّس قسم اللغة العربية بآداب القاهرة عام ١٩٧٢ م، ثم وكيل للكلية نفسها لشئون الدراسات العليا عام ١٩٧٩، ثم رئيسًا لأكاديمية الفنون عام ١٩٨٠، ثم تولّى منصب مقرر المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب والإعلام والمشرف ضمن اللجنة العلمية بمركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية وهو عضو اتحاد كتاب مصر وعضو لجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة والمجلس القومي للترجمة.

نستطيع أن نقول: إن الأستاذ الدكتور حسين نصار امتداد مصري، استطاع بكل قوة أن يشارك في كافة الاجتهادات الثقافية التي أثرت الثقافة المصرية منذ منتصف العشرينيات فأصبحت له بصمة خاصة تميز بها وحده عن سائر المؤلفين من خلال فهمه الإعجاز البياني والقرآن الكريم فأصبح عمدة الأدباء واستاذ اللغويات بلا منافس.

في أحد اللقاءات الإذاعية به تحدث شيخ المحققين عن التحقيق في التراث فقال : لابد من غربلة كتب التراث لأن التراث العالمي لا يعد مقدسًا، فلا توجد لدينا مقدسات سوى كتبنا الدينية، باقي التراث مادام هو تراثًا بشريًا بطبيعة الحال نأخذ ما نأخذ منه ونترك ما نتركه فلابد من غربلته. ولأن الجهلاء كثيرون فقد أصبح الهجوم على التراث في عصرنا الحالي سمة هذا العصر.

والدكتور نصار كان غزير الإنتاج، مؤلفاته قاربت الثمانين كتابًا في موضوعات علمية لمجالاتٍ مختلفة مثل الأدب المصري والأدب الشعبي والدروس اللغوية إلى جانب الدراسات الإسلامية وغيرها، عندما بلغ عقده الرابع كان له ستة وعشرون عملًا، ثم جاءت المرحلة الثانية للدكتور حسين يطلق عليها مرحلة الفيض، وهى التي بدأ فيها التأليف في وجوه الإعجاز القرآني، من عام ١٩٩٤ م، وأصدر خلالها اثني عشر كتابًا كل منها في جهة من جهات الإعجاز. واهتمّ بشكل خاص بالنشأة فأصدر ستة كتب في النشأة الأدبية ونشأة الفنون و أهمّها رسالته عن نشأة التدوين التاريخي عند العرب. وهو يعدّ من أبرز الذين كتبوا عن الفترة المبكرة للتاريخ الإسلامي في مصر، وخاصة الدولة الفاطمية، كما أنه أرّخ لبعض شعراء هذه الفترة الفاطمية لم يؤرّخ لهم أحد مثل ظافر الحداد، وأبو أيوب الأنصاري، ولأنه اعتمد على مصادر مغايرة عن التي يعتمد عليها الباحثون في هذه الفترة، كانت له رؤى مختلفة في التحليل لتاريخ مصر الإسلامية.

ولم يترك مجالًا من مجالات التأليف ولم يكتب فيه، فترجم كتبا غربية، وحقّق تراثًا، وتنوّع نتاجه بين الدراسات الأدبية، والدراسات اللغوية والتاريخية، والسيرة الذاتية غيرها.

وفي عام ١٩٩٩ قام الدكتور نصار بتأليف مجموعة كتب في وجوه إعجاز القرآن وهذه الكتب يجمعها رابط واحد و تبلغ كتبه في إعجاز القرآن أربعة عشر كتابًا إعجاز القرآن:(التحدي - المعارضة)، (العجز - المعجزة - الإعجاز) التأليف في الإعجاز عام ١٩٩٩م -الصَّرْفَة و الإنباء بالغيب عام ٢٠٠٠م الإبهام في القرآن والإعجاز العددي عام ٢٠٠١م التكرار ٢٠٠٢م - المتشابه ٢٠٠٣م -فواتح سور القرآن ٢٠٠٣م هذا على سبيل المثال لا للحصر

كما له العديد من المؤلفات في الأدب مثل نشأة

الكتابة الفنية في الأدب العربي ط.مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤ م، ١٩٦٦ـ ط.مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٢م. و هذا الكتاب نال به درجة الماجستير.

«ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر و الخمر» طبع عن مكتبة مصر ١٩٥٣م - ظافر الحداد شاعر مصري من العصر الفاطمي ١٩٧٥م. و قام الدكتور نصار باستخراج صورة عامة لحياة الشاعر و عقيدته و علاقته بالناس و علاقته بالثقافة و صناعة الشعر ـ كل ذلك من خلال شعره، لقلة أخباره، على طريقة العقاد في دراسته لشعر ابن الرومي. كما رَصَدَ أثرَ البيئة المصرية على شعره، و ظواهره الفنية.مصر العربية : طبع عن دار الثقافة العربية ١٩٦٠م، ١٩٦١م ضمن منشورات اقرأ ١٩٨٠م. و يتتّبع في هذا الكتاب أيضًا أثر الإقليم المصري في الشعر الوافد أو الطارئ الذي نظمه شعراء طارئون غير مصريين في فترة ما بعد الفتح العربي الإسلامي لمصر إلى أن تبلورت شخصيتها الأدبية بعد ذلك. و تناول أثر بيئة مصر وطبيعتها في شعر الهذليين، و شعر أبي تمام الشعر الشعبي العربي طبع بواسطة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٢م، و في هذا الكتاب يعرض لنشأة الشعر الشعبي في الأدب القديم: العامي وغير العامي، الذي يعبّر عن وجدان الشعب، و يتلقونه بالتعديل والإضافة. كما تناول أشكاله الفنية المختلفة مثل الرجز و المواليا و والكان وكان والقوما، كذلك تناول موضوعاته و هي الابتهالات الدينية و الأفراح و النواح و الحروب، القافية في العروض ١٩٨٠م، و تناول في هذا الكتاب مفهوم القافية المختلف عند العروضيين، وتقنينهم لحركاتها، وحروفها، وعيوبها. كما تناول أشكال القافية في القصيدة العربية على مر العصور : سواء التي اتبعت نظام عروض الخليل بن أحمد، أم التي تمرّدت عليه مثل: المزدوجات، والمربعات.

وفي اللغة كتب المعجم العربي: نشأته و تطوره، و هو دراسته للدكتوراه في جزءين، بإشراف المحقق الكبير الراحل مصطفى السقا. و تتبع فيه نشأة التأليف المعجمي منذ أن كان رسائل صغيرة إلى أن كان موسوعات. و قسّم تاريخه إلى مدارس : مدرسة الترتيب الصوتي، و مدارس الترتيب الهجائي، و مدارس الأبنية الصرفية، و مدارس الموضوعات وكتابه معجم آيات القرآن الكريم، تعريف الأضداد عام ٢٠٠٣م يتناول فيه مفهوم الأضداد، و حركة التأليف فيه، و أدلة المنكرين و المثبتين لهذه الظاهرة اللغوية.

بالإضافة إلى كتاب:»بحوث و مقالات لغوية»، و «دراسات لغوية.

كما أنه أبدع في مؤلفاته التاريخية فأصدر» الثورات الشعبية في مصر الإسلامية «يؤرّخ فيه للثورات المصرية في القرون الثلاثة الأولى التي تلت الفتح الإسلامي لمصر، وتنتهي بدخول الفاطميين وتولية الحكم الشيعي. و قسّمها لثورات حمر سفكت فيها الدماء، وثورات بيض قولية عن طريق الشعر.

ثم أصدر كتابًا عن نشأة التدوين التاريخي عند العرب وصفحات من القضاء الإسلامي. ثم يواصل مسيرته الإبداعية من خلال تمكّنه في إجادة اللغة الإنجليزية فقام بترجمة العديد من الكتب فترجم يونس بن حبيب و هو رجل من أعلام البصرة إبان ازدهار الثقافة بها في القرن الثاني، و تتبع الدكتور نصار كل ما قيل عنه في مصادر النحو و اللغة و الأدب، ليقدّم صورة لهذا الرجل، و مؤلفاته، و آرائه.

وأمين الخولي يتحدّث فيه عن أستاذيته له، و مؤلفاته، و مشروع تجديده في النحو و التفسير و الأدب، و أسلوب كتاباته إلى جانب تحقيقات لكتب التراث مثل: دواوين

ظافر الحداد، عبيد بن الأبرص، الخرنق، ابن

وكيع التنيسي، ابن مطروح، سراقة البارقي، جميل بثينة، قيس بن ذريح، ابن الصوفي. وقد ترجم كتبًا إلى اللغة العربية:

«ابن الرومي حياته وشعره» لروفان جست.

«دراسات عن المؤرخين» لمرجليوث، «المغازي الأولى ومؤلفوها» لهورفنت، «أرض السحرة» لبرنارد لويس.

وببلوغه سن التسعين ختم حياته العلمية بكتاب «نشأة الأدب العربي في مصر»، الذي وضع فيه خلاصة تجربته في الأدب المصري بكونه أستاذ الأدب العربي المصري من الفتح حتى عصر محمد علي، تبرّع بمكتبته لكلية الآداب بجامعة أسيوط حيث كانت تعاني نقصا شديداً في الكتب، وتفرّغ بعد ذلك لكتابة سيرته الذاتية، ووضع لها عنوان «التحدث بنعمة الله». ونشرتها له دار الكتب والوثائق.

في صباح يوم الأربعاء الموافق ٢٩ من نوفمبر عام ٢٠١١م يرحل شيخ المحققين والعالم الجليل عن عالمنا عن عمرٍ يناهز ٩٢ عامًا، يرحل في صمت، لتقيم الهيأة العامة لدار الكتب والوثائق القومية برئاسة الدكتور أحمد الشوكي، حفل تأبين للدكتور حسين نصار شيخ المحققين العرب و رئيس اللجنة العلمية لمركز تحقيق التراث بدار الكتب وشهد التأبين عدد كبير من الشخصيات العامة والأكاديميين من زملاء وتلاميذ الراحل على رأسهم رئيس جامعة القاهرة الدكتور محمد عثمان الخشت والدكتور جابر عصفور وزير الثقافة الأسبق و الدكتور عبد الحميد مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية،

إن التاريخ لن ينسى هذا الرجل الذي وهب حياته للغة العربية وسيظل قمرًا منيرًا في سماء الأدب، فإذا كان قد رحل عنا بشخصه فأعماله كانت وستظلّ باقية ما بقيت الحياة.

أرشيف
الإسلام

دراسات حول طه حسين

المؤلف

حسين نصار

حصادُ التسعين
العلاّمة الدكتور حسين نصّار
سنوات ومحطات حافلة بالعطاء والإنجازات

م.م. يونس إبراهيم أحمد العزي
كلية التربية – عقرة

إذا كانَ من الصعب الكتابة عن العلماء الكبار لما لهم من مهابة في نفوس الباحثين وسطوة على أقلامهم، فإنّ الكتابة عن العلامة الدكتور حسين نصّار هي أكثر صعوبة وأشدّ رهبة، بل تكاد تكون مهمة مستحيلة، كيف لا، وهو العالِم الموسوعي الذي تبحّر في مختلف العلوم والفنون، وأجاد في شتّى صنوف الثقافة والمعرفة، مؤلّفاً، ومؤرّخاً، وأديباً، ومعجمياً، ومحقّقاً، ومترجماً... فكان بحق: شيخ المحققين، وأستاذ المعجميين، وقدوة المترجمين، وعمدة الأدباء واللغويين.

ولعلّ من المفيد ونحن نستذكر هذا العالِم الموسوعي – في الذكرى الأولى لرحيله – أن نقف عند أبرز محطات حياته الحافلة بالعطاء والإنجاز، والتي كان لها الأثر الأكبر في تكوين شخصيته العلمية والإنسانية، ومن ثمّ في عطائه العلمي والمعرفي الثّر المتنوّع، وهي محطات جِدُّ مهمة وجديرة بالتأمّل، لِما فيها من الدروس والعِبَر، والسعي والاجتهاد، والبذل والعطاء، ممّا يُفيد منه طلبة العِلم وعشاق الثقافة والمعرفة من سِيَر العلماء والفضلاء، ودونك أبرز هذه المحطات :

*المحطة الأولى: الطفولة والنشأة والتحصيل العلمي

ـ المرحلة الابتدائية والثانوية : (طفولة يانعة... ونشأة علمية مباركة)

ولد الدكتور حسين محمد نصّار يوم (٧ / ربيع الآخر/ ١٣٤٤ هـ) الموافق (٢٥ / أكتوبر/ ١٩٢٥م) في حارة (كوم بهيج) في مدينة أسيوط، وفيها نشأ، والتحق بمدرستها الابتدائية ثم الثانوية، وكان لتلك النشأة أثر كبير في شخصيته العلمية، إذ يحدّثنا عنها الدكتور حسين نصار قائلاً : ((أعتقد أنّ مدرس اللغة العربية في السنة الثالثة الابتدائية كان له أثر كبير في حياتي، فهو الذى حبّبني وزملائي في اللغة العربية وآدابها، وحبّبنا أيضاً في القراءة، ثم التقيت بمجموعة أساتذة اللغة العربية في المدرسة الثانوية بأسيوط وكان منهم المحقّق الكبير الأستاذ (محمد أبو الفضل إبراهيم)، والشاعر الكبير علي الجمبلاطي، كنتُ بالقسم العلمي والتحقتُ بكلية طب الإسكندرية - جامعة فاروق الأول، كان ذلك إبّان الحرب العالمية الثانية، وكانت الإسكندرية في ذلك الوقت عرضة للغارات الألمانية، فخافت عليّ أسرتي، حيث كنت الابن الوحيد لهم، فعدتُ أي القاهرة، والتحقت بكلية الآداب، خاصة وإنّي حين كنتُ في السنة التوجيهية دخلتُ المسابقة التي ابتكرها عميد الأدب العربي أستاذنا الدكتور طه حسين، وكان من ينجح فيها يتمتّع بالمجانية في الجامعة إذا التحق بها، وكان هذا النظام يعطي للطالب الحق في اختيار أية مادة من المواد، فاخترتُ اللغة العربية، ونجحتُ في اختبار المسابقة)).

ـــ المرحلة الجامعية : (مشيخة فاضلة... وزمالة واعدة)

التحق أستاذنا حسين نصار بكلية الآداب - جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً)، وكانت تعجّ بكوكبة من الأساتذة الأجلّاء في كل التخصّصات، أمثال: طه حسين، وأحمد أمين، وإبراهيم مصطفى، وشوقي ضيف، وفؤاد حسنين، ومحمود الخضيري، ومراد كامل، وعبدالوهاب عزام، وعلي عبد الواحد وافي، ومحمد كامل حسين، وأمين الخولي، ومصطفى السقا... وغيرهم من العلماء والأدباء الكبار، وصاحب فيها كوكبة من الأصدقاء الذين صاروا نجوماً فيما بعد، وعلى رأسهم : عبد الحميد يونس، وشكري محمد عيّاد، ولطفى عبد البديع، ويوسف خليف، وآمال فهمي، وناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، وشاكر الفحام، وعز الدين إسماعيل، ونعمان طه، وعواطف البدرى...وغيرهم.

ـــ بين الإذاعة والدراسات العليا: (رحلة عمل... وأمل)

بعد إنهائه الدراسة الجامعية عُيّنَ مذيعاً بالإذاعة المصرية ومعه عدد من زملائه، وخلال تلك الفترة أكمل دراسته العليا في الماجستير ومن ثم الدكتوراه بعد أن انتقل للعمل مُعيداً في كلية الآداب، وقد روى الدكتور حسين نصّار تفاصيل تلك المرحلة في غير لقاء ومقابلة قائلاً: ((بعد التخرّج عُيّنتُ مذيعاً بالإذاعة المصرية وكان عبد الوهاب يوسف رئيس قسم المذيعين وعلي الراعي كبير المذيعين وأنور المشري المذيع الأول ومعي زملائي: صفية المهندس وتماضر توفيق وعواطف البدري... وفي تلك الأثناء حصلتُ على الماجستير في موضوع (نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي) بإشراف الأستاذ الكبير الدكتور مصطفى السقا، الذي شملني برعايته وأرشدني إلى أقوم طريق... بعدها انتقلتُ للعمل في كلية الآداب مُعيداً حيث نظام المدرس المساعد لم يكن تواجد بعد، وحصلتُ على الدكتوراه في موضوع (المعجم العربي: نشأته وتطوره) بإشراف الأستاذ الدكتور مصطفى السقا أيضاً، وهذا الموضوع لم يسبقني فيه أحد من قبل وأفاد كل المشتغلين به من بعد، وفى هذه الأثناء جاء مصر المحقق السعودي الكبير أحمد عبد الغفور عطار للبحث والتحقيق ونشر العديد من كتب التراث المهمة برعاية ودعم مالي لرجل الأعمال السعودي حسن شربتلي وكان أن أعجب بموضوع الدكتوراه فنشره في مشروعه وأفاد أيضاً منه عندما حقّق (معجم الصحاح) للجوهري)).

*المحطة الثانية: التدريس الجامعي والمهام الوظيفية والإدارية

ـــ من بحر اللغة إلى فضاء الأدب: (عطاء يستحق الثناء)

رغم تخصّص أستاذنا الدكتور حسين نصّار في مجال اللغة والمعجم، إلّا أنّ ثقافته الأدبية الواسعة هيّأت له مكانة مرموقة بين أساتذة الأدب في التدريس الجامعي، وقد ساهم في إبراز دَور مصر الأدبي والثقافي في العصور الإسلامية، حتى تولّى (أستاذ كرسي) في تخصّص الأدب باستحقاق وجدارة، وحين سئل الدكتور حسين نصّار: كيف استطعتَ أن توفّق بين تخصصي اللغة والأدب وتبدع فيهما معاً ؟ أجاب قائلاً : ((كما ذكرتُ أنّ رسالة الماجستير كانت في الأدب العربي وعملتُ بتاريخ الأدب العربي عامة، فكل شاعر نشرت ديوانه، كنت أضع مقدمة شاملة لدراسة عصره وآثاره وشعره، وكان من هؤلاء الشعراء «ابن وكيع التنيسي»، ولمّا توفي أستاذي الدكتور محمد كامل حسين قمتُ بتدريس (أدب مصر الإسلامية) خلفاً له، فعملتُ العديد من الدراسات في هذا المجال إلى أن تولّيت «أستاذ كرسي» سنة١٩٦٩، وحققتُ كتباً تتصل بمصر وآدابها مثل «النجوم الزاهرة في حلّي حضرة القاهرة» لابن سعيد الأندلسي و»ديوان ظافر الحداد « وغيرها ممّا يتصل بأدب مصر في العصور الإسلامية المختلفة)).

ومن الجدير بالذكر أنّ الأستاذ أمين الخولي كان أول من تبنّى ونادى بتدريس (أدب مصر الإسلامية) وإن لم

تكن له أيّة آثار حول هذا الموضوع، تبعه في ذلك محمد كامل حسين و عبد اللطيف حمزة وكانت لهم آثار جليلة القدر في هذا المجال.

ــ من التدريس إلى الإدارة: (تميّز علمي... ونجاح وظيفي)

تبوّأ الدكتور حسين نصّار خلال مسيرته الأكاديمية العديد من المهام الوظيفية والمناصب الإدارية، فعمل رئيساً لقسم اللغة العربية عام(١٩٧٢م)، وفي سنة (١٩٧٥م) اختاره الدكتور محمد صبحي عبد الحكيم وكيلاً لكلية الآداب للدراسات العليا والبحوث، ولمّا اختير الدكتور صبحي نائباً لرئيس جامعة القاهرة انتخبه زملاؤه عميداً لكلية الآداب.

ولم يقتصر عمل الدكتور حسين نصّار في الإدارة على قسمه وكليته، بل اتسع ليشمل عدداً من الأقسام والمعاهد والأكاديميات التي قد لا يكون بينها وبين تخصّص اللغة العربية أيّ رابطٍ أو صِلة، فمثلما تولّى منصب رئيس قسم اللغة العربية، تولّى أيضاً مهام رئيس قسم اللغة الفرنسية، وقسم اللغات الشرقية في كلية الآداب، ثم عميداً لكلية الآداب، فرئيساً لأكاديمية الفنون، وكان نجاح الإدارة وحُسن الكفاءة والمهارة أهمّ أسباب ترشيحه لتولي هذه المناصب والمهام، وعن تولّيه منصب (رئيس أكاديمية الفنون) يُحدّثنا الدكتور حسين نصّار قائلاً: ((تشعبّتُ بالعمل في مجالات مختلفة، وكان في بعض الأحيان لا توجد روابط بين تلك المجالات، أمّا تعييني رئيساً (لأكاديمية الفنون) فقد جاء بالصدفة، حيث أنني قمتُ في أثناء عملي عميداً لكلية الآداب بتنظيم احتفالية عن الدكتور طه حسين اشتملت على دراسات أدبية ونقدية، وقصائد شعر، ومسرحية ألّفها الثنائي الكبير «محمد عناني وسمير سرحان» عن أزمة كتاب (الشعر الجاهلي) وقُدِمت الأبحاث والأشعار بالكلية، أمّا المسرحية فعُرضت بالمسرح القومي بحضور السيد منصور حسن وزير الثقافة والإعلام، ويبدو أنه أعجب بالليلة وبالتنظيم الذي قمت به، ففكّر في أن ينتدبني رئيساً لأكاديمية الفنون، وخاصة أنّ فترة الأستاذ الدكتور رشاد رشدي كانت قد قاربت على الانتهاء، وفعلاً طلبني - السيد الوزير- وعرض عليّ الأمر، فقبلتُ، وفي أثناء عملي بالأكاديمية وضعتُ قانوناً لهم وافق عليه مجلس الشعب شبيهاً بقانون الجامعة)).

ومثلما كان للدكتور حسين نصّار دوره الفعّال علماً وإدارة في مختلف فروع وأقسام المؤسسة الجامعية والأكاديمية، فقد كانت له بصمته المؤثّرة – أيضاً – خارج أسوار الجامعة، من خلال إدارته وعضويته في العديد من المجالس والاتحادات والهيئات واللجان العلمية والثقافية في مصر، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر: الجمعية اللغوية المصرية، والجمعية الأدبية المصرية، وقد شغل منصب الرئيس في كُلٍ منها، كما كان مقرّراً للمجلس القومي الأعلى للثقافة والفنون والآداب والإعلام، واتحاد الكُتّاب، ومديراً لمعهد المخطوطات، ومستشاراً لرئيس دار الكتب والوثائق القومية عن مركز تحقيق التراث، وعضواً في الجمعية المصرية للنشر المعرفة والثقافة العلمية، وغيرها الكثير.

هكذا كان العلاّمة الدكتور حسين نصّار، كالغيث حيثما وقع نفع، ولعل من الغريب، أنّه رغم كل هذا العطاء العلمي المتميّز لهذا العالِم الجهبذ الفذ والخدمة الجليلة للغة العربية وتراثها، لم يكن عضواً في مجمع اللغة العربية في مصر أو في غيرها من البلدان، وهذا ما جعل الدكتور فيصل الحفيان – مدير معهد المخطوطات – يتساءل متعجّباً: ((كيف يكون الدكتور حسين نصّار خارج مجمع اللغة العربية وهو أول من كتب عن المعاجم العربية من خارج المجمع؟؟؟!!!)).

*المحطة الثالثة: الإنجاز العلمي والمعرفي (تأليفاً وتصنيفاً وتحقيقاً وترجمة)

ــ موسوعية التأليف... وتنوع التصنيف:

حفلت حياة الدكتور حسين نصّار – التي امتدّت لأكثر من تسعة عقود – بنتاج علمي وثقافي ومعرفي ثَـرّ، كانت ثمرته عشرات التصانيف، فبلغت مؤلفاته (٤٤) كتاباً، في مختلف علوم العربية وفنونها، منها: (١١) كتاباً في إعجاز القرآن الكريم وعلومه، وكان اهتمام الدكتور حسين نصّار بمباحث الإعجاز البياني للقرآن الكريم تعبيراً عن اهتمامه المتواصل بفقه الكلمة العربية وتاريخها ومبانيها اللغوية والتركيبية. ومن مباحثه المتخصصة في الإعجاز كتابه «الفواصل» الذي نشر عام ١٩٩٩، والذي أعلن فيه أنّه ليس من علماء الدين أو التاريخ، لكنه يحاول أن يؤرّخ للتاريخ الفكري الذي دار حول قضية إعجاز القرآن، من خلال المنهج الذي يسميه «تفكير التاريخ». وهذا ما أكّده الدكتور الشرقاوي قائلاً: ((إنّ هذا يتبدّى واضحاً في مؤلفاته الأخرى عن الإعجاز التي من بينها : القسم في القرآن الكريم، و التكرار، و الأمثال، وفواتح سور القرآن الكريم.....)).

أمّا في الأدب فقد بلغت مؤلفاته (١٣) كتاباً، غطّت موضوعات وفنونا واتجاهات أدبية مختلفة، من أشهرها: نشأة الكتاب الفنية في الأدب العربي، والشعر الشعبي العربي، والقافية في العروض والأدب، وأدب الرحلة، وفي النثر العربي، وفي الشعر العربي، وفي الأدب المصري، والطبيعة والشاعر العربي، ودراسات حول طه حسين وغيرها من المؤلفات، ولعل هذا الاهتمام بالأدب العربي والإلمام بفنونه وقضاياه هو ما هيّأ للدكتور حسين نصّار – أستاذ اللغة والمعجم – الحصول على (أستاذ كرسي) في تخصّص الأدب (أدب مصر الإسلامية) –كما مرّ بنا آنفاً – ميزة له دون غيره من علماء اللغة.

وكل ذلك لم يطفئ بريقه بين أعلام اللغة وعلمائها، فقد صنّف الدكتور حسين نصّار العديد من الكتب في تخصص اللغة وعلومها، منها : دراسته الرائدة (المعجم العربي: نشأته وتطوّره) وهو أشهر كتبه على الإطلاق، والمقدّم في هذا المجال، وقد تأثّر به وأفاد منه كل مَن كتبوا في هذا الباب، ونال به لقب (شيخ المعجميين) لريادته وعظيم فائدته، ومن كتبه أيضاً: مدخل تعريف الأضداد، وبحوث ومقالات لغوية، ودراسات لغوية... وغيرها من المصنفات، وكان لكل كتاب ميزته وقيمته العلمية العالية.

هذا، وقد ترك الدكتور حسين نصّار – أيضاً – مؤلفات في التاريخ والتراجم، تؤكد ثقافته العلمية الموسوعية، من أشهرها: الثورات الشعبية في مصر العربية، ونشأة التدوين التاريخي عند العرب، وصفحات من القضاء الإسلامي، وفي التراجم: يونس بن حبيب، وأمين الخولي.

ـ تحقيق التراث وإحياء المخطوطات: (من التلمذة... إلى المشيخة)

قام الدكتور حسين نصّار بإنجاز الكثير من التحقيقات للعديد من المخطوطات، وتعدّ هذه المرحلة من أهمّ وأغنى محطات حياة أستاذنا العلامة، ذلك أنّها رافقته لعقود من حياته، مذ كان طالباً في الجامعة حتى بلغ ذروة المجد في هذا العِلم الجليل حيث أطلق عليه لقب (شيخ المحققين)، وعن تجربته في التحقيق ورحلته الطويلة في عالم المخطوطات، تحدّث الدكتور حسين نصّار ذات لقاء قائلاً: ((عندما كنتُ طالباً بالكلية وجدتُ أساتذتي أمثال: الدكتور مصطفى السقا، والدكتور شوقي ضيف يردّدان كلمة التحقيق كثيراً، ثم عرضا علينا أموراً تتصل بالتحقيق، وعندما كنتُ أذهبُ إلى دار الكتب أجدهما يعملان بالمخطوطات، فكنتُ أتصل بهما لأعرف ماذا يفعلان، منذ ذلك الوقت اتصلتُ بأستاذي الدكتور مصطفى السقا أنهل من علمه وأستفيد من طريقته حتى توفي سنة (١٩٦٩م)، بل اخترته مشرفاً على رسالتي للماجستير وأطروحتي للدكتوراه – كما أسلفنا – وإن كانتا لا تمتّان للتحقيق بصلة، وكان أول ما حققّته هو «ديوان

سارقة البارقي» وهو شاعر من العصر الأموي، وكنتُ ما أزال طالباً، ثم عدتُ للتحقيق ثانية بعد أن التحقتُ للعمل في الجامعة، وأخرجت الأعمال الكبيرة والضخمة، منها : ديوان ابن الرومي في ستة مجلدات، اشترك معي فيها محققون من مركز تحقيق التراث بدار الكتب، وتوالت الأعمال..... فجمعتُ وحققتُ دواوين: جميل بثينة، وقيس بن ذريح، وابن وكيع التنيسي، وظافر الحداد، عبيد بن الأبرص الأسدي، والخِرْنِق، وابن مطروح، وابن الصوفي وغيرها)).

أمّا في مجال النثر فقد حقّق الدكتور حسين نصّار عدداً من النصوص التاريخية والأدبية والرحلات، منها: (النجوم الزاهرة في حليّ حضرة القاهرة) لعلي بن موسي بن سعيد الأندلسي، وهو الجزء الخاصّ بالقاهرة من موسوعة ابن سعيد المتوفى سنة (٦٨٥هـ) وبه يكتمل القسم الذي أفرده المؤلف الأندلسي لمصر، ومنها أيضاً كتاب (ولاة مصر) لمحمد بن يوسف الكندي المتوفى سنة (٣٥٠هـ)، وقد اعتمد في تحقيقه للكتاب على النسخة المخطوطة الوحيدة المحفوظة في المتحف البريطاني، وعلى المطبوعة التي أنجزها روفن كست، غير أنّ هذه المخطوطة كانت حافلة بالأخطاء ممّا حمل الدكتور حسين نصّار على إعادة نشرها وتصحيح ما وقع فيها من أخطاء، وقد قدّم لها بمقدمة تحدث فيها عن الكندي ومؤلفاته ومنهجه والرواة الذين اعتمد عليهم في كتابه، ويبدو – جليّاً - في هذه النشرة الجديدة ما تكبده المحقّق من عناء في عمله ليخرج الكتاب بهذه القشيبة، وهو ما نجده أيضاً في تحقيقه لـ(رحلة ابن جبير) المتوفى سنة (٦١٤هـ)، وهي من أهم كتب الرحلات العربية وأغزرها فوائد، قام بها الرحالة الأندلسي من ساحل الأندلس بحراً حتى الإسكندرية، ثم جاب بلاد المشرق وفلسطين والشام ومصر والعراق، وقد حققّت هذه الرحلة لأول مرة عام (١٨٥٢م) وقام بها وليم رايت معتمداً على النسخة الوحيدة الموجودة في مكتبة جامعة ليدن - هولندا، وطبعت نقلاً عن الأوروبية في نشرة سقيمة مشوّهة، فقام الدكتور حسين نصّار بإعادة نشر الرحلة بعد أن حصل على نسخة مخطوطة أخرى في المغرب، وأتم مقابلتها وتصحيحها وألحق بها الفهارس المفصلة، ومن تحقيقاته أيضاً: الجزء (٢٤) من كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) لشهاب الدين النويري، و(العاطل الحالي والمُرْخَص الغالي) لصفي الدين الحلي، و(الوقف على "كلا" و "بلى" في القرآن) لمكي بن أبي طالب القيسي، و الجزء (٨) من (مختار الأغاني) لابن منظور، والجزء (٦) والجزء (١٣) من (معجم تاج العروس) للزَّبيدي، و(معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية) في (٦ مجلدات) إلى غير ذلك من كنوز التراث العربي.

وقد تميّز منهج الدكتور حسين نصّار في التحقيق بالتأصيل العلمي، والتوثيق المرجعي المحرر لكل ما يكتب ويحقق، فقد كان يبحث بشكل عميق في المصادر الأصلية لموضوع دراسته، ممّا يجعله واحداً من كبار المحقّقين لعيون التراث العربي، حتى صار يعرف بين الدارسين بـ(شيخ المحققين العرب).

ـــ الترجمة وجسور التواصل مع الثقافة العالمية : (حسين نصّار... فارس في كل ميدان)

الدكتور حسين نصّار هو أديب، ومؤلف، ومحقّق، ومترجم، له دراسات وترجمات كثيرة لعدد من أبرز أعمال المستشرقين تشهد بتمكّنه من اللغة الإنجليزية، وكان اهتمامه بالترجمة من نقطة اهتمامه باللغة العربية وآدابها، فكل من قام بترجمته يتصل بجانب من اهتماماته، وقد أنفق من جهده وعلمه ووقته ما يعدّ إضافة إلى الثقافة العربية، وهذا ما يتجلى واضحاً في ترجمته مؤلفات لكبار المستشرقين ليقدمها للقرّاء في العالم العربي من أجل أن تفتح أمامهم آفاقاً جديدة للبحث في مواطن الدراسة العربية، ومن أشهرها: ترجمته

لكتاب (المغازي الأولى ومؤلفوها) للمستشرق يوسف هوروفتس، وكتاب (دراسات عن المؤرخين العرب) للمستشرق د. س. مرجليوث، وكتاب (أرض السحرة) للمستشرق برنارد لويس، وكتاب (ابن الرومي: حياته وشعره) للمستشرق روفون كست، و (مقدمة ديوان عبيد بن الأبرص) للمستشرق تشارلز ليال.

ولم تقف جهوده في الترجمة عند هذا الحد بل تجاوزته إلى ترجمة عدة كتب في مجال الموسيقى العربية وتاريخها، ألّفها المستشرق الايرلندي هنري جورج فارمر، وهي على التوالي : (تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر)، و(الموسيقى والغناء في ألف ليلة وليلة)، و(مصادر الموسيقى العربية).

أمّا منهجية الدكتور حسين نصّار في الترجمة فيوجزها الدكتور عوني قائلاً:

((إنّ الدكتور حسين نصّار لا يكتفي بمجرد الترجمة، وإنّما يعلّق على ما يترجم مضيفاً أو مصححاً بالهامش دون تدخّل في النص نفسه..... وكان يجهد نفسه في نقل النصوص العربية التي يترجمها المستشرقون إلى الانجليزية من مصادرها العربية، سواءً كانت مطبوعة أم مخطوطة.، ومن هنا يظهر لنا أنّ ما قام الدكتور نصّار بترجمته لا يمكن أن يقدّمه الّا مترجم له صلة بالثقافة العربية وروافدها، ويعرف كل مجالات التخصص المختلفة فيها)).

*المحطة الرابعة: حضور يأبى الغياب (تكريم الإبداع... ودموع الوداع)

حصد الدكتور حسين نصّار خلال رحلته العلمية الحافلة العديد من الجوائز تثميناً لجهوده الكبيرة والرائدة في نشر العلم وإحياء التراث، وأهمها:

١- جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٨٦م.

٢- جائزة الملك فيصل العالمية في الآداب عام ٢٠٠٤م.

٣- جائزة الرئيس مبارك في الآداب عام ٢٠٠٦م.

وحين سئل عن أهم تكريم ناله في حياته، قال: ((التكريم الأهم هو زيارة زملائي لي، وكذلك زيارة أبنائي من الطلاب، والأصدقاء))، هذا، فضلاً عن تكريمه معنوياً من خلال العديد من المؤلفات التي تناولت سيرته العلمية والشخصية، أو الدراسات التي أهديت إليه، احتفاءً به، وعرفاناً بجهوده العظيمة في خدمة العلم واللغة والتراث والثقافة، ومن ذلك :

١- ثمرات الامتنان (دراسات أدبية ولغوية مهداة إلى الأستاذ الدكتور العلاّمة حسين نصّار بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين) : إعداد وإشراف : الدكتور عادل سليمان جمال، كتاب تذكاري.

٢- العطاء العلمي والثقافي للأستاذ الدكتور حسين نصّار : الدكتور حسام أحمد عبد الظاهر، إشراف : الدكتور عبدالستار الحلوجي، ببليوجرافية في (١٧١) صفحة، نشرتها دار الكتب والوثائق القومية، ووزعتها الدار في الاحتفالية التي نظمتها يوم الثلاثاء (٢٠ / أكتوبر / ٢٠١٥ م) بمناسبة بلوغ الأستاذ الدكتور سن التسعين.

ـــ وترجّل الفارس:

توفي الدكتور العلامة حسين محمد نصّار يوم (١١/ ربيع الأول / ١٤٣٩هـ) الموافق (٢٩/ نوفمبر / ٢٠١٧م) بعد أن قطع التسعين، وملأ الدنيا علماً وفضلاً، وهيبات للموت أن ينال من الخلود... وقد كرّم الله (جلّ ثناؤه) الشهداء ببقاء أجسادهم، والعلماء بخلود آثارهم، ولله دَرُّ القائل:

قَدْ مَاتَ قومٌ ومَا ماتَتْ مكارمُهُم وعاشَ قومٌ وهُم في النّاسِ أمواتُ

رحم الله تعالى شيخنا العلامة الدكتور حسين نصّار، وجزاه خير الجزاء وأوفاه عن لغة القرآن، وسقى قبره

غيث الرضوان، ما تعاقب الأبيضان، وأضاء النيّران.

*خاتمة لازمة: مفاتيح أسرار عبقرية العلّامة نصّار

إنّ مَن يطلع على سيرة العلّامة الدكتور حسين نصّار يدرك عظمة وعبقرية هذا العالم الجليل، ولا بُدّ أن يتساءل: كيف صار الدكتور نصّار إلى ما صار إليه رغم نشأته وحياته البسيطة ؟ وما سِرُّ عبقريته التي طبعتْ نِتاجه العلمي والفكري بهذا التنوع الثقافي الموسوعي؟ وقد دفعني البحث عن إجابة هذا التساؤل إلى التعمّق في التفاصيل الدقيقة لحياة شيخنا العلمية والشخصية، فاهتديتُ إلى مفاتيح هذه الأسرار، وها أنا ذا أضعها بين يدَي محبّيه وتلاميذه :

١- المفتاح الأول: التعليم الناجح

كان الدكتور حسين نصّار يبالغ في الثناء على التعليم في عصره في مختلف مراحله، الابتدائية والثانوية والجامعية، ولنستمع إليه وهو يحدّثنا عن ذلك العصر الذهبي قائلاً: ((كان التعليم بالماضي تعليماً جاداً، المدرسون يعشقون التدريس ويناقشون الطلبة في كل أنماط الثقافة، ويكرّمون المتميّزين منهم، وكانوا يتبرعون بساعات إضافية لتنمية مستواهم ومناقشة موضوعات الإنشاء لديهم دون النظر إلى مقابل، فمثلاً عندما كنا في المرحلة الابتدائية كان مدرس اللغة العربية الأستاذ الدرعمي يأخذ كل شهر جزءاً يسيراً من مصروفنا الشخصي ليشتري لنا كتباً يضعها على رفّ صغير داخل الفصل وكُنّا نتنافس على قراءتها، أمّا في الدراسة الثانوية فكان المدرس يأتي إلينا قبل بدء اليوم الدراسي بساعة ليناقش موضوعات الإنشاء (التعبير) لكلّ واحد منّا، كما أنّي دخلت الجامعة بمنحة مجانية بعد أن اجتزتُ اختبار المسابقة العلمية التي ابتكرها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، وكانت عبارة عن امتحان في عدّة كُتبٍ تقرّر على المتقدمين لهذه المسابقة، وللطلب حق اختيار مادة الامتحان، فاخترتُ اللغة العربية وخضتُ المسابقة ونجحتُ في الاختبار، وكان الدكتور زكي مبارك يتعرّض بالتحليل والنقد لهذه المصادر في مجلة البلاغ)).

٢- المفتاح الثاني : شغف القراءة وثقافة المطالعة

يذكر الدكتور حسين نصّار أنّه – قبل التحاقه بالجامعة – كان يذهب كل يوم إلى مكتبة البلدية في مدينته أسيوط للمطالعة، وكان يقرأ كل يقع تحت يديه من الكتب في مختلف العلوم والفنون، ويقول : انّه كان يقرأ كل ما موجود على الرفّ – من غير انتقاء – فإذا أتمّ كتب الرّف انتقل إلى الرّف الآخر في المكتبة، وهكذا، وهذا النوع من القراءة هو الذي أعطى نتاجه العلمي هذا التنوع المعرفي والموسوعي، واستمرّ هذا الشغف بالقراءة والمطالعة حتى آخر أيام حياته، وحين سئل في إحدى المقابلات الصحفية، وكان قد شارف على التسعين، كيف يحيا الدكتور حسين نصّار حياته الآن؟ فأجاب: ((أحيا بين كتبي وأبحاثي)).

ويقول عنه تلميذه إبراهيم عبد المعطي: ((كان أستاذنا الدكتور حسين نصّار يعشق العلم عشقاً لا حدود له، عندما كنت أعدّ رسالة الماجستير تحت إشرافه بالاشتراك مع أستاذنا الدكتور محمد حمدي إبراهيم نائب رئيس جامعة القاهرة الأسبق، كنت أراه في بعض المكتبات، ومنها مكتبة القاهرة الكبرى، يبحث عن الكتب ويقرأ مثل أي تلميذ من تلاميذه، وفي إحدى المرات رأيته في مخازن المكتبة المركزية القديمة لجامعة القاهرة يبحث بين تلال الكتب والمخطوطات عن مراده، إنه لا يملّ من البحث والتنقيب، فالعلم مراده في كل مكان وزمان)).

٣- المفتاح الثالث: ملازمة العلماء والإفادة منهم

عاصر الدكتور حسين نصّار العديد من العديد من علماء الرعيل الأول، وأساتذة الجيل في زمانه، أمثال: طه حسين، وأحمد أمين، وأمين الخولي، وأحمد الشايب،

وشوقي ضيف، ومصطفى السقا وغيرهم من العلماء والأدباء، فكان لهم الأثر الأكبر في تكوين شخصيته العلمية الفذّة، وكان ممّن تركوا أثراً في نفسه الأستاذ (أمين الخولي) وقد علّل سبب ذلك التأثير قائلاً : ((ولعله كان أبرز مؤثر في قسم اللغة العربية، لأنّه كان يثير أذهان الطلاب، وكان يحب المناقشة والجدل، لذا كان لافتاً للنظر أكثر من غيره، لأنّ بقية الأساتذة لم يكونوا مثله، على الأقل في هذا الأمر))، أمّا الأستاذ الأكثر تأثيراً في مسيرته والذي ترك بصمة واضحة في حياة وأسلوب ومنهج وسلوك الدكتور حسين نصّار فهو الأستاذ الدكتور (مصطفى السقا) الذي وصفه قائلاً: ((وربما أكون أقرب في طباعي وممارساتي وحياتي إليه، وقد اشتغلت معه الماجستير والدكتوراه، وأكاد أقول بأنّه تبناني، ويتميّز هذا الأستاذ بأنّه هادئ الطباع، عطوف، وهو منظم في حياته، وقته كله للقراءة والدرس والعمل، محب لتحقيق المخطوطات، وكل هذا جعلني أتأثر به..... وقد تطبّعتُ بكثير من صفات أستاذي الدكتور مصطفى السقا)).

٤- المفتاح الرابع: تنظيم الحياة وإدارة الوقت

كثيراً ما تحدّث الدكتور حسين نصّار عن أهمية النظام في جميع شؤون حياته العلمية والشخصية، ومن ذلك ما صرّح به في إحدى اللقاءات قائلاً : ((أنا اعتقد أن النظام هو طابعي الذي لا أتنازل عنه على الإطلاق، وحياتي مرتبة تماماً وكذلك عملي مرتب، ووقتي كله مخصص للعمل من قراءة وكتابة واستفادة وتردد على المكتبات المختلفة خصوصا دار الكتب فقد كان أستاذي الدكتور مصطفى السقا يفعل هذا كله وأنا مثله أيضاً)).

ووصفه أحد تلاميذه بقوله : ((تنظيم الوقت من أهم أسرار نجاح أستاذنا في إنتاج الكم الغزيز والمتنوع من الكتب، وكل كتاب منها يتميّز بالقيمة العالية، ويلعب نوم القيلولة دوراً في تجديد نشاط أستاذنا الدكتور حسين نصّار، وهو ما حرص عليه طوال عمره)).

ولذلك لم ينس الدكتور حسين نصّار فضل زوجته (رحمها الله) التي هيأت له الجو المناسب للبحث والكتابة، فقد ذكر في احتفالية دار الكتب، أنّها كانت تمنع دخول الآخرين حجرة مكتبه أثناء عمله، وبذلك وفّرت له فرصة عدم المقاطعة والتفرغ لإنجاز ما بين يديه، وقد عبّر أستاذنا عن تقديره لها بالإهداء الذي تصدّر كتابه (في الشعر العربي) وممّا جاء فيه: ((إلى من تحمّلت كثرة عزلتي، وطول صمتي، واختلاف مزاجي، أم أولادي، وجدّة أحفادي، شريكة حياتي)).

هذه محطات وأسرار من حياة شيخ المحققين، وأستاذ المعجميين، وعمدة الأدباء واللغويين، وفي سيرته ما يعود للتأمّل غير ما ذكرت، وستنشر دار الكتب المصرية سيرته الذاتية (التحدث بنعمة الله) التي كتبها بنفسه، وأرجو أن تكون حافلة بالجديد عن تاريخ عصره، وعن حياته العلمية والشخصية.

المعجم العربي

نشأته وتطوره

تأليف

دكتور حسين نصار
أستاذ متفرغ بكلية الآداب – جامعة القاهرة

نسخة منقحة ومزيدة

١٩٨٨م/١٤٠٨هـ

الجزء الأول

دار مصر للطباعة
٣٧ شارع كامل صدقي

مكتبة
لسان العرب

منتدى سور الأزبكية

القافية في العروض والأدب

الدكتور حسين نصار

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

القافية في العروض والأدب

الدكتور حسين نصّار

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٣٦ ش بورسعيد - القاهرة

General Supervisor

Sheikh Abdul–Mehdi El–Kerbala'I

Editor-in-Chief

Dr. Lateef Al–Qasab

Secretary Editor

Haidar Al–Ameri

Board of Editors

Assist.Prof.Dr.Sadiq Hussein Knyj

Assist.Prof.Khalid Abbas Al.Syaf

Assist.Prof.Dr.Talal Khalifa Sulyman

Assist.Prof.Dr. Najim Abdullah Ghali

Dr.Muayyad Omran Chiad

Dr.Haydar Abdali Hemydy

Proofreaders

Abass Al–Sabag

Design and Production

Haidar Al-Fatli

مجلة «سيراء»

مجلة توثيقية اكاديمية اعدّت لكي تخلّد جهود العلماء في اللغة والادب العربي بشكل موضوعي

هدفه اغناء المكتبة العلمية والباحثين بهذا النوع من البحوث.

تعتمد في نشرها طريقة البحوث الاكاديمية والمقالات العلمية الموثقة بمصادر معتبرة.

تدعو الباحثين والكتاب الى رفدها بالبحوث والمقالات التي تتعلق بسبر جهود الشخصيات التي تعلن تناولها في اعدادها تباعا

وسيكون ذلك عبر وسائل التواصل الاجتماعي باسم (دار اللغة والادب العربي)

تصدر كل ثلاثة اشهر من شعبة دار اللغة والأدب العربي في العتبة الحسينية المقدسة.

للتواصل وارسال المقالات:

E-mail:siaraa@imamhussain.org

Publication Name: Siaraa Journal
Published by (Issuing authority): House of Arabic Language and Literature
Publication year: 2021
Edition: first
Place of publication: Iraq - Karbala
The Press: Dar Al-Warith Press for Printing and Publishing
Issue: 3
Number of copies: 500 copies

General Secretariat of the Holy Shrine of Imam Hussein
Arabic Language House
Consignment Number in the Book - House and Iraq Documents :2015 , 2107

To communicate
Website: www.alh.imamhussain.org
E-mail: siaraa@imamhussain.org
+٩٦٤٧٧٢١٤٥٨٠٠١ - +٩٦٤٧٨٢٧٢٣٦٨٦٤